

(٤٧) من تراث الكوثري

إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان

تأليف

خادم الحديث النبوي الشريف
العلامة أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي
من كبار علماء الأزهر الشريف

قدّم له

فضيلة الأستاذ الكبير
محمد زاهد الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

٥١٢٠٨٤٧ ☎



من تراش الكوثري
٤٧

إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان

تأليف
خادم الحديث النبوي الشريف
العلامة أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني الإدريسي
من كبار علماء الأزهر الشريف



قدّم له
فضيلة الأستاذ الكبير
محمد زاهد الكوثري

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ ررب الزواك طلف الجامع الأزهر الشريف

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الإدريسي ، أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني إقامة البرهان علي نزول عيسي في
آخر الزمان / تأليف أبو الفضل عبد الله بن محمد
الصديق الغماري الحسني الإدريسي ، قدم له محمد
زاهد الكوثري . — ط 01 — . القاهرة : المكتبة
الأزهرية للتراث ، 2006

132ص ؛ 24 سم . (من تراث الكوثري ؛ 47)
تدمك 3 - 126 - 315 - 977

1- الحديث

أ - الكوثري ، محمد زاهد (مقدمه) 230
ب- العنوان

رقم الإيداع : 13700 / 2006

إهداء الكتاب

إليك سيد المرسلين . وخاتم النبيين . وإمام المتقين ، وقائد الغر
المحجلين ، أهدى كتابي هذا - الذى دافعت به عن سنتك ونفيت عنها - بقدر
استطاعتي - تحريف الغالين . وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين . لا أبتغى
بذلك إلا أن تكون شفيعاً لى يوم يقوم الناس لرب العالمين .
ولن يضيق رسول الله جاهك بى
إذا الكريم تجلى باسم متقم

خادم حديثك

عبد الله بن محمد بن الصديق

الغمارى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري

كان بينى وبين الأستاذ الكوثري صلة وثيقة، رغم سعى بعض الحاقدين لإفسادها، وكان يقدرنى كثيرا، حتى إنى لما استجزته قبيل وفاته بسنة استجازنى، وكان يسألنى عن الأحاديث التى يسأله عنها بعض الناس، واستمرت صلتنا كما هى إلى وفاته، رحمه الله وأثابه رضاء.

المؤلف



فضيلة الأستاذ العلامة المحدث الناقد السيد عبد الله الصديق الغماري - حفظه الله - له براعة فياضة تفيض تحقيقًا كلما جد الجد، ووجب الرد، فتوقف المهجمين على معتقد الجماعة عند حدهم، ولم تزل مواقف فضيلته ضد المشبهة، ونفاة التوسل، والمغالين فى استنكار المحاريب ماثلة أمامنا، تشهد له بنبل الرأى ودقة النظر، وغزارة العلم، والبراعة فى الرواية والدراية، فيتوالى شكر أهل العلم والدين من أعماق القلوب على إجادته البالغة فى الرد عليهم، وقد أعد الله سبحانه له مثوبة عظيمة بقدر ما له من الإخلاص فى العمل، والنجاح فى الجهاد، والإجادة فى الدفاع عن حوزة الدين. وها هو ذا قد وقف بالأمس الدابر وقفة الأسد فى الرد على مشايخ للرشيد القلونى^(١) - الجارى وراء الدكتور صدقى المعروف - فى إنكار نزول

(١) هو الشيخ رشيد رضا صاحب المنار.

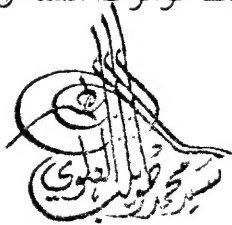


عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ففضى عليه بمقالاته الممتعة المنشورة حديثا فى مجلة الإسلام الغراء فندعو الله سبحانه أن يرعاه ويكافئه على ذلك مكافأة المحسنين ويكثر من أمثاله فى حراسة الدين، والدفاع عن معتقد المسلمين . ومما يؤسف له أن يوجد بين صفوف حراس الدين ، من تتغلب عليه شهوة الظهور بالتجرؤ على العقيدة المتوارثة جرياً وراء الاستبعاد العقلى المجرد فيما لا يحيله العقل، مع توارد الكتاب والسنة وإجماع علماء أهل السنة والجماعة على تحتم الأخذ بها ولا يكون ذلك إلا تزندقاً مكشوفاً فى سبيل التجدد ، وفى مثله يقول الشاعر العربى .

تزندق معلناً ليقول قوم من الأدباء زنديق ظريف
فقد بقى التزندق فيه وصما وما قيل الظريف ولا الخفيف

وليس شىء أثقل من ذلك على نفوس الأباة الكرام ، ومحاولة المراءى لوزن قدرة الله جل جلاله بمعياره الخاسر العيار، وعقله القاصر عن إكتناه جزء من الكون ، فضلاً عن اكتناه صفة من صفات مكون الأكوان ، تدل على أنه مصاب فى عقله قبل أن يصاب فى دينه، والركض وراء ذلك الاستبعاد المجرد يدل على فقد الإيمان بالغيب ، والاقتصار على المحسوس شأن البهيم، فنعوذ بالله من الخذلان . وفى مسألة رفع عيسى عليه السلام حياً ونزوله فى آخر الزمان تضافر الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة، فقلوه تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ بمعنى ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى لأن عود ضمير (قبل موته) إلى عيسى هو مقتضى الرواية حيث صح ذلك عن أبى هريرة - رضى الله عنه - واستفاض عن ابن عباس رضى الله عنهما بدون

أن يصح ما يناهض ذلك عن أحد من الصحابة، ولأن عود ذلك الضمير إلى عيسى هو مقتضى الدراية أيضاً حيث يلزم من عوده إلى غير عيسى - وهو أحد من أهل الكتاب - أن يؤمن كل كتابي من اليهود وغيرهم قبل موته بعيسى ، فإما أن لا يعتد بذلك الإيمان، فينافيه إقسام الله سبحانه عليه ، وإما أن يعتد به فلا يكون يهود ولا نصارى ، بل يكون الجميع ملة واحدة ، مع أن الإجماع على عدم رد اليهود والنصارى إلى غير أهل دينهم فى الموارث وسائر الحقوق يدل على تمايز الملتين ، وعلى أن اليهود يهود والنصارى نصارى، ما لم نعلم اهتداء أحد منهم إلى الإسلام فتحكم فيه أنه مسلم. فلو كان يهودى يؤمن قبل موته بعيسى عليه السلام ما صح رد ورثته إلى اليهود ، وقال الزهرى: «مضت السنة على أن يرد أهل الكتاب فى حقوقهم وموارثهم إلى أهل دينهم إلا أن يأتوا راغبين فى حكم الله فيحكم بينهم بكتاب الله» وحيث استحال عود ذلك الضمير إلى غير عيسى للسبب المشروح، تعين عوده إلى عيسى. من جهة الدراية أيضاً، وهكذا تطابقت الرواية والدراية على أن موت عيسى عليه السلام يكون بعد نزوله فى آخر الزمان، وإذ ذاك يكون الجميع أمة واحدة بإيمانهم كلهم بما يدعو إليه عيسى إذ ذاك وهو دين الإسلام. ثم الضمير فى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلُّمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يتعين إرجاعه إلى عيسى عليه السلام أيضاً ، لأنه هو المذكور فى سياق الآية ولا ذكر للقرآن فى السياق حتى يستساغ إرجاعه إليه دراية. وأما من جهة الرواية فلم يصح عن أحد من الصحابة خلاف ما استفاض عن ابن عباس من إرجاع الضمير إلى عيسى عليه السلام، فتطابقت هنا أيضاً الدراية والرواية على أن عيسى سبب علم للساعة، حيث يعلم بنزوله قيام الساعة كما تواترت السنة وتطابق



الاجماع على ذلك، وأما ما وقع فى تفسير سورة المائدة - فى غير مظهره - من صحيح البخارى من قوله : «قال ابن عباس : مثوفيك ميثك» فخلو عن السند فلا يصلح للاحتجاج به وكم له من هذا القبيل فى كتاب التفسير عما لا يحتج به عند أهل الصنعة. وهذه الرواية واردة بطريق عبد الله بن صالح عن معاوية الحضرمى عن ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، عن ابن جرير وغيره . فعلى بن أبى طلحة لم يدرك ابن عباس اتفاقاً، ففى الرواية انقطاع ثم ابن أبى طلحة والحضرمى وعبد الله كاتب الليث مختلف فيهم، وليسوا من شرط البخارى فأنى تصح رواية هذا شأنها ؟ حتى يتصور أن تناهض ما صح واستفاض عن أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما، على أن حملها على التقديم والتأخير - مثل واسجدى واركعى - كما فعل الفراء وغيره يجعلها متفقة مع الرواية الصحيحة هـ.

وليس ما فى العتبية من عزو موته - وهو ابن ثلاث وثلاثين - إلى مالك رضى الله عنه بصالح أن يكون عذراً لمن شذ وقال بموته حيث لا مستند له من الكتاب والسنة والاجماع ، إزاء تلك الجبال الشواهد من الحجج على أن العتبية المعروفة بالمستخرجة اشتهرت بين المالكية بأنها مجمع الروايات المطروحة ، والمسائل الشاذة ، وأن جامعها كان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبه قال أدخلوها فى المستخرجة . بل قال ابن عبد الحكم رأيت جلها كذباً ومسائل لا أصول لها ، فالاغترار بها اغترار فى غير محله ، إلا أن حب الشذوذ مرض فى بعض النفوس . وبعد هذا الاستطراد نعود فنقول :

إن فضيلة الأستاذ الغمارى وفى بوعده وأتم تأليف كتابه البديعسمى «إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان» وأحسن كل الاحسان ، فى

إقامة الحجج من الكتاب والسنة والإجماع على المسألة ، وقد سرد فيه من طرق حديث النزول ما يشهد له بالتوسع البالغ في الحديث ويسجل له كل فخر على ناصية الدهر ، فأبان بذلك قوة تواتر هذا الحديث عند كل منصف غير متعسف ، فيكون كتابه الخالد هذا حارساً لقلوب الأجيال المقبلة ، من أن يتسرب إليها شكوك المشككين من القاديانيين وأذيال القاديانيين ، حيث لم يدع ناحية من نواحي هذا الموضوع بدون أن يقتلها بحثاً ، فيقتنع المطالع المتبصر بمجرد مطالعته بتواتر خبر نزوله عليه السلام في آخر الزمان ، وهذا قاض على الشق الأول من زعم المردود عليه بأن «نزول عيسى عليه السلام إنما ورد بطريق الآحاد وخبر الآحاد لا يفيد عقيدة» وأما الشق الثاني فلا يمشی إلا على النقل الشاذ من الأشعري المردود عند المحققين ، لأن العقد الجازم هو المعتمد شرعاً وهذا قد يحصل بخبر الآحاد ، وبالتقليد كما يحصل بالبراهين المفيدة للعلم وفي قصر الاعتداد في العقد الجازم على إيمان أهل البرهان إكفار لدهماء الأمة ، وهذا يكون مجازفة شنيعة ، بل إفادة خبر الآحاد العلم رأى كثير من علماء هذه الأمة ، ولا سيما عند احتفافه بالقرائن ، وخاصة فيما أخرجه الشيخان من غير منازع أو اتفقت الأمة على الأخذ به ، بل لا يرد خبر الآحاد عند أهل العلم إلا عند مخالفته لكتاب الله أو سنة رسوله المتواترة أو المشهورة أو عند ما عنده العقل محالاً فيما لا يحتمل التأويل لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول لا بما تحيله كما في «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي وغيره . وصفوة القول أن المؤلف أجاد كل الإجادة في تأليفه هذا ، فندعو الله سبحانه أن يكافئه على هذه الإجادة ، وأن يوفقه لتأليف كثير من أمثال في خير وعافية ، وأن ينفع به المسلمين .

محمد زاهد الكوثري



[illegible]

1993, 1994, 1995, 1996, 1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 26

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

اللهم لك الحمد كله . ولك الملك كله . وبيدك الخير كله . وإليك يرجع الأمر كله . علانيته وسره . لك الحمد إنك على كل شيء قدير . اللهم صلى وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد المبشر النذير . والسراج المنير . الذي ختمت به الأنبياء . وفضلته على جميع الرسل والأصفياء . جعلته نبياً وآدم بين الروح والجسد . وحكمت لشريعته بالبقاء إلى آخر الأبد . خلقتة نوراً قبل خلق الأشياء ، ثم بعثته مشعاً بعد أن عمت هذا العالم ظلمات الشرك والجهل والجور والشقاء . فعم الأرض نوره وعلمه . ووسع الناس عدله وحلمه . فهو الفاتح الخاتم . ورسول الله إلى جميع العوالم . لا نبي بعد نبوته . ولا شرع غير شرعته وملته . فأبلغه اللهم منا أفضل الصلوات . وأزكى التسليمات ، وأجزه عنا بأجزل الخيرات . وأجل المكرمات . وارض اللهم عن آله الطيبين الطاهرين . وصحابته الأكرمين وعمن تبع طريقهم بإحسان من غير تحريف ولا تبديل إلى يوم الدين . ووفقنا اللهم فيما انتدبنا له من الدفاع عن سنته . وأدم هدايتنا بدوام اتباع هديه وطريقته . حتى نحشر يوم العرض في زمرة . ونكون من أسعد من يسعد بشفاعته . بفضلك وكرمك يا ذا الفضل العظيم . يا صاحب الكرم الواسع العميم .



أما بعد: فقد ظهر فى هذه الأزمان المتأخرة، طائفة كافرة خاسرة. تدعى الإسلام وهو منها براء. وتنشر بلسانه - فى زعمها - آراء . كلها ضلال وإفك وافتراء. تزعم فى شأن زعيمها غلام أحمد القاديانى أنه نبي ظلى يوحى إليه. ومعنى الظلية فى كلامهم أنه لم يأت بشرع جديد. وإنما بعث ليصلح ما أفسدته يد الحدثان فى شريعتنا الحنيفية السمحة ، ويشبهون حالة نبوته وإصلاحه بحال عيسى عليه الصلاة والسلام، حيث بعث تابعاً للمشرية الموسوية ومصلحاً لما حرف من أحكامها وتعاليمها . وتالله إن زعمهم ذاك لباطل. وإن تشبيههم هذا لخال عن الجامع، وعن حلية الحق والتحقيق عاطل. ذلك أن عيسى بن مريم عليهما السلام رسول كريم. بعثه الله فى وقت لم تنقطع فيه النبوة والرسالة. لاحتياج الناس إذ ذاك إلى من يزيل ما ران على قلوبهم وعقولهم من الجهالة والضلالة. مع ما ثبت من تحريف اليهود للتوراة وتبديلهم للأحكام التى أنزلها الله كما شهد به القرآن، وأثبتته التاريخ الصحيح. واعترف به علماء اليهود أنفسهم باللفظ الصريح. فلما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بدینه الذى أكمله وارتضاه، حيث قال جل علاه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وقال عز ذكره ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ولم يقبل ديناً غيره حيث قال تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. وتولى حفظه بذاته حيث قال عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. لم يبق للناس - بعد هذا - حاجة إلى نبي أو رسول. لحصول كمال الكفاية. فى تمام الرشد والهداية. بنبيهم الأكرم. ورسولهم الأعظم، إذ خلف فيهم الكتاب والسنة ، فيهما بيان كل شئ

مما يحتاج إليه العباد في دينهم ودنياهم . في معاشهم ومعادهم . وتركهم على المنحجة البيضاء الواضحة المعالم والمسالك . ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فلهذا ختمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يكن بعده نبي كما قال الله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ . وفي الصحيح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مثلى ومثل الأنبياء كمثلي رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » وفي الصحيح أيضاً عن سعد قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . وفي رواية في الصحيح أيضاً : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي » والحديث متواتر ، له أكثر من عشرين طريقاً استوعبها الحافظ ابن عساكر في كتاب خاص ، وفي الصحيح أيضاً من حديث ابن أبي أوفى : ولو قضى أن يكون بعد محمد نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده وقال ابن حبان في صحيحه : أخبرنا عمر بن محمد الهمداني ثنا عبد الملك بن سليمان القرقيساني ثنا عيسى بن يونس ثنا عمران بن سليمان القمي عن الشعبي قال سمعت فاطمة بنت قيس تقول : صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أنذركم الدجال فإنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد أنذر أمته وهو كائن فيكم أيتها الأمة إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ألا إن تميم الداري أخبرني » وذكر حديث الجساسة والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، وهي قطيعة الثبوت والدلالة لتواترها وصراحة ألفاظها .



ولذا كان من مسائل الدين وقواعده الضرورية المجمع عليها أن من اعتقد أو ادعى وجود نبي ينبا في هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو شك في متنبى ادعى النبوة بحيث لم يجزم بكذبه . فهو كافر مرتد حلال الدم والمال . يستتاب فإن تاب قبل . وإلا قتل .

على هذا اتفق المسلمون قاطبة لا فرق بين عالم وجاهل ولا بين سنى وغيره . قال ابن حزم الحافظ فى كتاب مراتب الإجماع : باب من الإجماع فى الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع . اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شىء غيره وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شىء غيره معه ، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء . . . إلى أن قال : وأن دين الإسلام هو الدين الذى لا دين لله فى الأرض سواه ، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله وأنه لا ينسخه دين بعده أبداً ، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد فى النار أبداً . . . وأنه لا نبي مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبداً واتفقوا أنه مذمات النبي صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحي وكمل الدين واستقر أهد .

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره عند الكلام على قوله تعالى «وخاتم النبيين» ما نصه : وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ورسوله فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال مضل أهد .

وقال الألوسى فى تفسيره ما نصه : وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعى خلافه أهد .
فعلم مما ذكرناه أن ذلك الغلام القاديانى ليس بنبي كما يزعم هو وطائفته ، ولكنه أحد الدجالين الذين أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أنهم يدعون النبوة ، قبل الدجال الأعظم الذى يدعى الألوهية ، ففى الصحيح عن جابر ابن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «إن بين يدى الساعة كذابين». وفى الصحيح أيضاً عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله».

وروى ابن حبان فى صحيحه ثنا محمد بن عبد الله بن الجعيد ثنا قتيبة ابن سعيد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها» ، وذكر الحديث بأطول مما فى صحيح مسلم وقال فى آخره : «وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبى وإنى خاتم النبیین لا نبى بعدى ولن تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله» .

وروى الطبرانى وغيره عن نعيم بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبى» وروى أحمد والطبرانى والضياء وغيرهم عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «فى أمتى كذابون ودجالون سبعة وعشرون ، منهم أربع نسوة وإنى خاتم النبیین لا نبى بعدى» ، وعزاه الحافظ الهيثمى للبخارى أيضاً : وقال : رجاله رجال الصحيح اهـ .

وفى المسند وغيره عن جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «بين يدى الساعة كذابون منهم صاحب اليمامة ومنهم صاحب صنعاء العنسى ومنهم صاحب حمير ومنهم الدجال وهو أغلظهم فتنة» ، قال جابر وبعضهم



يقول قريباً من ثلاثين كذاباً . وعزاه الهيثمي للبخاري أيضاً ، وقال : في إسناده عبد الرحمن بن مغراء وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح : قال ، وفي سنده أحمد ابن لهيعة وهو لين اهـ .

والأحاديث في هذا كثيرة ، والعدد المذكور فيها للتقريب لا للتحديد وفيها معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث وقع الأمر كما أخبر وظهر في الأمة كذابون متنبئون فيهم نساء كسجاح وغيرها ، ومن أحدث هؤلاء المتنبئين عهداً هذا الغلام القادياني الذي انبعث في الهند شيطاناً من شياطين الإنس ، فشق عصا المسلمين وفارق جماعتهم وفرق كلمتهم ، وبشر بمذهبه في كثير من البلاد خارج الهند على أنه مذهب إسلامي صحيح . وهو والله مذهب الكفر الصريح . من اعتنقه خسر الدنيا والآخرة وباء بالضلال المبين . وكان يوم القيامة مع الكفرة الفجرة لا في زمرة المسلمين .

وقد اتبعه ضعفاء العقول . من كل مختلف جهول . لا يفهم ما يقال له ولا يفقه ما يقول . وهذا شأن الباطل لا يروج إلا على الطغاة والجهلة الذين هم كالأنعام . ومع أن الحق واضح أبليج . وطريق الإسلام مستقيم غير ذي عوج . نجد من ينحرف ذات الشمال وذات اليمين ، ويترك الهدى والنور لقول كذاب مهين ، فنعجب ولكن سرعان ما يذهب عجبنا حين نقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ .

فصل

ثم إن هؤلاء القاديانية أو الأحمدية كما يتسمون ينحصر كلامهم في عدة دعاوى نلخصها فيما يلي :

أحدها : أن عيسى عليه السلام مات وانتهى أمره ولا سبيل إلى رجوعه في آخر الزمان وأن رفعه الوارد في القرآن رفع معنوى .

ثانيها : إنكار الدجال والدابة وغيرهما من أشراط الساعة الكبرى التى تواترت بها الأحاديث واتفقت عليها الأمة .

ثالثها : ترك الاحتجاج بالسنة مطلقاً لا فرق بين متواترها وآحادها إلا إذا وافقت القرآن بحسب فهمهم .

رابعها : وهى مترتبة على التى قبلها أنه ليس فى القرآن دليل يدل على انقطاع النبوة ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ معناه الختم والطابع أى أن محمداً عليه الصلاة والسلام بالنسبة للأنبياء كالختم الذى يختم به على الشهادة مثلاً ، وليس فى هذا ما يدل على أنه لا نبى بعده !! بل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ يدل عندهم على وجود نبى بعده !! وبناءً على ذلك تكون الأحاديث المصرحة بأنه لا نبى بعده مخالفة للقرآن فلا يعمل بها !!

خامسها : أن غلام أحمد نبى يوحى إليه ، وأنه رسول العالم الموعود !! وقد يتغالى بعضهم فيحمل قوله تعالى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ على غلامهم القاديانى .

هذه أصول دعواهم وأهمها وسائر كلامهم يتفرع منها أو يرجع إليها ،



وهى دعاوى - كما ترى - كلها كفر وضلال ، إذا اعتقد الشخص واحدة منها خرج عن ملة الإسلام ، فكيف إذا اعتقد جميعها ؟ بل كيف إذا كان يدافع عنها ويحاول تثبيتها فى عقول المسلمين بكل حيلة؟! لا شك أن من فعل ذلك فكفره أشد ، وعذابه أكثر وأقبح ، نسأل الله العفو والعافية .

فصل

ثم إنهم دائبون على نشر دعاواهم المذكورة بمختلف الحيل والأساليب ، فطوراً يتقدمون بها فى صورة سؤال ، مكتفين أن يرد فى الجواب كلمة يكون فيها تأييدهم ، وحينئذ يقدمونها أقوالاً مسلمة لا تحتمل النزاع والجدال ، وتارة يغرون على اعتناقها بالنشب والمال ، إلى غير هذا مما يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، وهم فى كل ذلك جهلة لا يفهمون العلم ، وإن فهموا شيئاً فلا يحسنون الفهم ، ليس لهم قواعد وأصول يرجعون إليها عند البحث والمناظرة ، وإن دعاهم مناظرهم إلى كتب الأصول الإسلامية وقواعدها المحكمة هربوا كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، الكلام معهم مضیعة ، وتعب فى غير منفعة ، لأنهم كما قلنا لا يفهمون ، فهم لأجل ذلك لا ينصفون ، وليجرب من شك فى هذا يلتق من جهلهم وتعصبهم ما لا يصفه الواصفون .

وكان من أحدث ما فعلوه لترويج أباطيلهم وإعادة ذكرها على الأسماع والأذهان ، بعد إذ نسيت مدة من الزمان ، أن تقدم أحدهم بسؤال إلى مشيخة الأزهر جاء فيه : «هل عيسى حى أو ميت فى نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة وما حكم المسلم الذى ينكر أنه حى وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟» .

هذا ملخص ما جاء فى ذلك السؤال ولم يكن مقدمه مستفيداً مسترشداً
إذ لو أراد الاستفادة والاسترشاد لوجد فى الكتب التى ألفها علماء الهند فى
هذه المواضيع باللغتين العربية والأردية ما يشفى علته ويروى غلته، إذ قد ألف
العلامة المحدث الكبير محمد أنور الكشميرى الديوبندى رحمه الله وأثابه
رضاه، ثلاث رسائل، الأولى عقيدة الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام
وعمل عليها حاشية سماها تحية الإسلام، الثانية، التصريح بتواتر نزول
المسيح، الثالثة، اسمها «خاتم النبیین»، وكلها مطبوعة وللعلامة الكشميرى
المذكور منزلة كبيرة فى نفوس المسلمين هناك لم يكتسبها من مركزه الرسمى
فحسب بل بما له من علوم ومواهب، وبما ألفه من الكتب فى الدفاع عن
الدين، والرد على الملحدين.

وقد ألف غيره أيضاً من العلماء، فى هذه الأشياء بحيث لم يتركوا
لقائل مقالاً، هذا غير ما ألقى من محاضرات، وما عقد من اجتماعات
تتضمن على مناظرات ومجادلات، مما نشر كله أو جله فى الجرائد
والمجلات، إذن فذلك السائل لم يكن بسؤاله مستفيداً مسترشداً ولكنه حاول
أن ينتزع من هيئة دينية رسمية ما يجعله متكاً له يتوكأ عليه فى دعاواه
فأفلحت محاولته، ونجحت حيلته !!

وصدر العدد الثانى والستون بعد الأربعمائة من مجلة الرسالة يوم
الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٦١ الموافق ١١ من
مايو عام ١٩٤٢ يحمل فتوى عنوانها «رفع عيسى» ومضمونها أن عيسى عليه
السلام مات موتاً حقيقياً، وأنه لم يرفع بجسمه إلى السماء وأنه لا ينزل فى
آخر الزمان وأن الأحاديث الواردة فى ذلك آحاد وأن الآحاد لا يعمل به فى



العقائد والمغيبات بالإجماع وأنها مضطربة اضطراباً لا مجال معه للجمع بينها

وأنها فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وأن درجتها عند أهل الحديث معروفة - أى أنهما غير مقبولين أو غير ثقتين - إلى غير هذا مما جاء فى تلك الفتوى التى صادمت الإجماع وخالفت الأحاديث المتواترة ، ونابذت ما تواطأت عليه كتب التفسير والعقائد ودعت إلى إهدار الأحاديث النبوية الصحيحة فى بعض مسائل الدين بدعوى أنها آحاد وحادث بجملتها وتفصيلها عن الصراط السوى والطريق القويم .

فصل

وقد اتخذ القاديانية تلك الفتوى عدة لهم وسلاحاً وأخذوا يطوفون بها على المسلمين الذين كانوا يسهون أحلامهم، ويخطئون آراءهم، وهم فرحون مستبشرون، يقولون بلهجة الظافر المتصر: ها هو ذا الأزهر يوافقنا ويخالفكم، فليس عيسى بحى ولا هو مرفوع . ولا هو نازل كما تزعمون فأين تذهبون؟! (١).

تحققنا هذا ولمسناه تارة بسماع صحيح الخبر ، وأخرى بمشاهدة البصر فرأيت أن اكشف من تلك الفتوى عوارها . وأمحو عن علماء الأزهر عارها . فألفت هذه الرسالة ، واختطفت من بين أنياب العوائق هذه العجالة ، وأعددتها على ضعف فى الاستعداد . وقلة من الموارد . وأجهدت نفسى فى تنسيقها، رغم تراكم الأهوال . وتفاقم الأحوال . وتوالى البلبال . وسميتها .

(١) ونشرت جريدة البشرى القاديانية التى تصدر فى بيروت فى عدديها ٥ و ٦ أن الأزهر يعترف بوقفة المسيح الناصرى !! .

«إقامة البرهان . على نزول عيسى في آخر الزمان» أو «إبطال ما قيل من

الخيالات والأوهام في حديث نزول عيسى عليه السلام» .

والله أسأل . أن يجعلها عملاً مقبولاً مبروراً . وأن يجعل سعينا لديه

مشكوراً . وأن يدرج اسمنا في خدام سنة نبيه الأمين . وأن يتجفنا وجميع

أهلنا وأحبابنا بشفاعته يوم الدين ، إنه الجواد الكريم والءوف الرحيم .

المؤلف



باب إثبات نزول عيسى عليه السلام

اعلم أنه قد تواتر عن النبي ﷺ تواتراً لا خلاف فيه ولا نزاع أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، حاكماً بهذه الشريعة المحمدية ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال ولا يقبل إلا الاسلام ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه ، ونحن نورد بحول الله في هذا الباب ما يثبت ذلك من جهة الصناعة الحديدية فنذكر طرق الأحاديث ونتكلم عليها ، وبعد الفراغ من استيعابها حسب اجتهادنا وعلمنا ، نتبعها بسرد أقوال العلماء المصراحة بالتواتر وبوجوب اعتقاد مضمونه ، حتى يظهر الحق واضحاً لا غبار عليه ، ولا اشتباه فيه ، والله يوفق من شاء هدايته لاتباعه .

فصل

ورد نزول عيسى عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي هريرة ، وحذيفة بن أسيد ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، ومجمع بن جارية ، وأبي أمامة ، وعثمان بن أبي العاص ، ووائل بن الأسقع ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مغفل ، وعائشة ، وسمرة بن جندب ، وأنس ، وأبي سعيد الخدري ، وعمران بن حصين ، وابن عباس ، وأوس بن أوس ، وثوبان ، وعبد الرحمن بن سمرة ، ونافع بن كيسان الثقفي ، وكيسان بن عبد الله بن طارق ، ونافع بن عتبة ،

وأبى برزة، وعمرو بن عوف، وبعض الصحابة ، وأبى الدرداء، ومن مرسل جبير بن نفير الحضرمي، والحسن، وعروة بن رويم التابعين، وهذا غير الموقوفات والمقطوعات وهى فى هذا الباب لها حكم الرفع كما تقرر فى علوم الحديث.

فصل

أما أبو هريرة فوردت عنه أحاديث كثيرة بلغت حد الاستفاضة والشهرة ونحن نذكرها بحول الله .

الحديث الأول:

قال البخارى فى صحيحه: باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَلْأَلْيَمِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ . وكذا رواه مسلم عن الحسن الحلوانى وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به، ورواه البخارى ومسلم أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن ابن شهاب الزهرى به، ورواه أيضاً من طريق الليث بن سعد عن الزهرى به ورواه مسلم من طريق يونس عن الزهرى به، ورواه ابن مردويه فى تفسيره من طريق محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير

ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين» قال أبو هريرة اقرؤا إن شئتم ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ، موت عيسى بن مريم، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات . ورواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما، ورواه ابن أبى شيبة أيضاً ولفظه: «لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكماً مقسطاً وإماماً عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» ورواه ابن سعد فى الطبقات ولفظه. «ينزل عيسى بن مريم قبل القيامة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويجتمع الناس على دين واحد ويضع الجزية» .

الحديث الثانى:

قال البخارى فى صحيحه حدثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبى قتادة الأنصارى أن أبا هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم». تابعه عقيل والأوزاعى هـ. ورواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر وعن عثمان بن عمر عن ابن أبى ذئب كلاهما عن الزهرى به. ورواه مسلم من طريق يونس عن الزهرى به، ورواه أيضاً من طريق ابن أخى الزهرى وابن أبى ذئب كلاهما عن الزهرى أخبرنى نافع مولى أبى قتادة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم» وقال الوليد بن مسلم: فقلت لابن أبى ذئب إن الأوزاعى حدثنا عن الزهرى عن نافع عن أبى هريرة «وأمامكم منكم» قال ابن أبى ذئب: تدرى ما أمكم منكم؟ قلت تخبرنى قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

الحديث الثالث:

قال مسلم فى صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد» ورواه أحمد عن حجاج وعن هاشم كلاهما عن الليث بن سعد به .

ورواه ابن حبان فى صحيحه قال: اخبرنا عبد الله بن محمد الازدى ثنا اسحق بن إبراهيم ثنا عمرو بن محمد العنقزى ثنا ليث بن سعد عن المقبرى عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة به .

الحديث الرابع:

قال الإمام أحمد: حدثنا روح ثنا محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن حنظلة بن على الأسلمى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليهلن عيسى بن مريم بفتح الروحاء بالحج أو العمرة أو ليشينهما جميعا» وكذا رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة والليث ابن سعد ويونس بن يزيد كلهم عن الزهرى به ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق عبيد الله بن عمر عن الزهرى به .

ورواه أحمد أيضاً من طريق سفيان بن حسين عن الزهرى عن حنظلة عن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما»

قال: وتلا أبو هريرة ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الآية .
فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى فلا أدري هذا كله
حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو شيء قاله أبو هريرة؟ وكذا رواه
ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي موسى محمد بن المثنى عن يزيد بن هارون
عن سفيان بن حسين عن الزهري به .

الحديث الخامس:

قال أحمد: حدثنا عفان ثنا همام أنبأنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم
عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأنبياء إخوة لعلات
أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنى أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن
بينى وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة
والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله فى زمانه
الملل كلها إلا الإسلام ويهلك فى زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمانة على
الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم،
ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى
عليه المسلمون ويدفنونه» وهذا إسناد صحيح كما قال الحافظ ابن حجر فى
فتح البارى، ورواه أحمد أيضاً عن أبى يحيى عن ابن عروبة عن قتادة به،
ورواه أبو داود عن هذبة بن خالد عن همام بن يحيى عن قتادة به نحوه،
ورواه ابن جرير عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هرون عن سعيد بن أبى عروبة
عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم مولى أم برثن صاحب السقاية عن أبى
هريرة به نحوه ورواه الحاكم من طريق عفان بن مسلم عن همام عن قتادة به

نحوه وصححه وسلمه الذهبى ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الرحمن به نحوه، ورواه أيضاً من طريق هذبة بن خالد عن همام عن قتادة عن عبد الرحمن به بلفظ أحمد.

الحديث السادس:

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ينزل الدجال المدينة ولكنه بين الخندق وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها فأول من يتبعه النساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق فعند ذلك ينزل عيسى بن مريم» قال الحافظ الهيثمى: رجاله رجال الصحيح غير عقبة بن مكرم بن عقبة الضبى وهو ثقة. قلت: وقوله فعند ذلك ينزل عيسى أى عند نزول الدجال الخندق مع توجهه لحصار المسلمين وشروعه فيه كما جاء فى الروايات الأخرى والأحاديث يفسر بعضها بعضاً .

الحديث السابع:

أخرج الحاكم وصححه وسلمه الذهبى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليهبطن ابن مريم حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً وليأتين قبرى حتى يسلم على ولأردن عليه». يقول أبو هريرة: أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام.

الحديث الثامن:

أخرج أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنى لأرجو إن طال بى عمر أن ألقى عيسى بن مريم عليه السلام فإن عجل بى موت فمن لقيه منكم فليقرئه منى السلام». قال الحافظ الهيثمى رجال إسناده رجال الصحيح .

الحديث التاسع:

أخرج أحمد أيضاً عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يوشك المسيح عيسى بن مريم أن ينزل حكماً مقسطاً وإماماً عادلاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة فاقروه أو اقرئوه السلام من رسول الله» وأحدثه فيصدقني ، فلما حضرته الوفاة قال أقرئوه مني السلام. قال الحافظ الهيثمي: في سنده كثير بن زيد وثقه أحمد وجماعة وضعفه النسائي وغيره وبقيه رجاله ثقات.

الحديث العاشر:

أخرج الطبراني في الأوسط والصغير قال حدثنا عيسى بن محمد الصيدلاني البغدادي ثنا محمد بن عقبة السدوسي ثنا محمد بن عثمان بن سيار القرشي ثنا كعب أبو عبد الله - هو البصري - عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إن عيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ألا إنه خليفتي في أمتي من بعدى ألا إنه يقتل الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها ألا من أدركه منكم فليقرأ عليه السلام». قال الحافظ الهيثمي في سنده محمد بن عقبة السدوسي وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم اهـ قلت ورواه الخطيب الحافظ في التاريخ فقال أخبرنا محمد بن عبد الله بن شهریار الأصبهاني أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني به .

الحديث الحادي عشر:

أخرج أحمد عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ينزل ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل

الخنزير ويرجع السلم وتتخذ السيوف مناجل وتذهب حمة كل ذى حمة وتنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره ويراعى الغنم الذئب ولا يضرها ، ويراعى الأسد البقر ولا يضرها» .

الحديث الثانى عشر:

قال الحافظ أبو سعيد محمد بن على النقاش فى جزء له فى فوائد العراقيين: أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن على الهجيمى حدثنا جعفر الصائغ ثنا عفان بن مسلم ثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال «طوبى لعيش بعد المسيح» - يعنى بعد نزوله - يؤذن للسماء فى القطر ويؤذن للأرض فى النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبتت وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض ، قال أبو اسحق سمعه من جعفر الصائغ أبو داود السجستاني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأنا معهما أ هـ . قلت قوله ثنا سليم بن حيان . كذا قرأته فى نسختنا من الجزء المذكور ولم أدر من هو ؟ لكنى قرأت فى تاريخ الخطيب فى ترجمة جعفر الصائغ حديثا آخر بهذا الاسناد جاء فيه . ثنا إبراهيم بن على الهجيمى ثنا جعفر الصائغ ثنا سعيد بن سليمان ثنا يحيى بن سليم الطائفى ، قال الخطيب: كذا فى حديث الهجيمى . وفى حديث ابن خزيمة : محمد بن مسلم وهو الصواب أ هـ . فظهر لى من هذا أن الصواب فى الإسناد الذى أورده هو يحيى بن سليم . وأن الناسخ كتبه سليم بن حيان خطأ لقرب الاشتباه بينهما ومثل هذا يقع من الناسخين لعدم علمهم بالأسانيد والرجال ، ورجال هذا الإسناد ثقات وبعضهم من رجال الشيخين . والحديث رواه أبو نعيم أيضاً .

الحديث الثالث عشر:

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ينزل عيسى بن مريم فيمكث فى الناس أربعين سنة»، قال الحافظ الهيثمى: رجاله ثقات، وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبى هريرة عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث نزول عيسى قال: «فيمكث فى الأرض أربعين سنة» ذكره الحافظ ابن كثير فى تاريخه .

الحديث الرابع عشر:

أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن أبى هريرة يرويه قال: «لا تزال عصابة من أمتى على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون من خالفهم حتى ينزل عيسى بن مريم» قال الأوزاعى فحدثت قتادة بهذا الحديث فقال: لا أعلم أولئك إلا أهل الشام. قلت هذا رأى قتادة فى المراد بالعصابة فى الحديث وهو أحد الأقوال فى المسألة (والقول الثانى) أن المراد بهم العرب حكاه القاضى عياض فى الاكمال عن ابن المدينى (الثالث) أن المراد بهم أهل الحدة والشوكة وهم أهل الجهاد حكاه ابن الأثير فى النهاية (الرابع) أن المراد بهم الغزاة المرابطون بشغور الشام قاله التوربشتى (الخامس) أنهم الأمة كلها وهو ما يستفاد من كلام جماعة من العلماء قال البيضاوى والمراد أمة الإجابة (السادس) أن المراد بهم الصوفية حكاه المناوى فى فيض القدير وحكاه غيره أيضاً (السابع) أنهم أهل السنة والجماعة قاله القاضى عياض فى الإكمال (الثامن) أنهم أهل الحديث نقله الترمذى عن البخارى عن ابن المدينى وهو قول أحمد والبخارى أيضاً (التاسع) أنهم المجتهدون فى الأحكام الشرعية بناء على وجوب الاجتهاد فى كل عصر وعدم خلو الأرض من مجتهد وهو قول

جماعة (العاشر) أن هذه العصاة عامة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم علماء محدثون ومنهم فقهاء ومنهم زهاد ومنهم مجاهدون مقاتلون ومنهم قائلون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من أنواع الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد أو قطر واحد . وهذا قاله النووي في شرح مسلم احتمالا . هذه جملة الأقوال في الحديث ذكرناها استطرادا تميما للفائدة ومن أراد الوقوف على دليل كل منها وتمحيصها وبيان المعتمد منها فليرجع إلى رسالة أخينا وأستاذنا الحافظ السيد أحمد في الكلام على هذا الحديث واسمها (الأجوبة الصارفة عن إشكال حديث الطائفة) وهي مفيدة .

الحديث الخامس عشر:

قال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب ثنا يعلى ابن منصور ثنا سليمان بن بلال ثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم^(١) فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » .

(١) أى يقصدهم .

الحديث السادس عشر:

أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا موسى بن مطير عن أبيه عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لم يسلط على قتل الدجال إلا عيسى بن مريم».

الحديث السابع عشر:

أخرج البزار عن أبي هريرة قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «يخرج الأعور الدجال مسيح الضلالة قبل المشرق في زمن اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ ما شاء الله أن يبلغ من الأرض في أربعين يوما الله أعلم ما مقدارها فيلقى المؤمنون شدة شديدة ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء فيؤم الناس فإذا رفع رأسه من ركعته قال سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال وظهر المسلمون» فأحلف أن رسول الله أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنه لحق وأما أنه قريب فكل ما هو آت قريب، قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة ، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق آخر فقال أخبرنا أبو يعلى ثنا أبو خيثمة ثنا يونس بن محمد ثنا صالح بن عمر ثنا عاصم ابن كليب عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول أحدثكم ما سمعت من رسول الله الصادق المصدوق حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم أن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ ما يشاء الله من الأرض في أربعين يوما الله أعلم ما مقدارها وينزل الله عيسى ابن مريم فيؤمهم فإذا رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده

قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين قال أبو حاتم . قوله فى هذا الخبر فيؤمهم أراد به فيأمرهم بالإمامة إذ العرب تنسب الفعل إلى الأمر كما تنسبه إلى الفاعل كما ذكرنا فى غير موضع من كتبنا أه قلت تأول ابن حبان هذا التأويل ليجمع هذا الحديث والأحاديث الأخرى التى تصرح بأن عيسى عليه السلام يأتهم بإمام المسلمين عقب نزوله من السماء وهو تأويل حسن تؤيده قواعد اللغة العربية لكن بقى فى الحديث ما يحتاج إلى جواب ولم يتعرض له ابن حبان ، ذلك أن هذا الحديث يفيد أن قتل الدجال يحدث وعيسى بن مريم فى صلاة ، مع أن الأحاديث الأخرى التى ذكرت أن عيسى يقتل الدجال بباب لد أو قريب منه لم تذكر أن ذلك يكون أثناء الصلاة فكيف الجمع بين هذه وذاك؟ والجواب على ذلك سهل بتسهيل الله غير أنه يتوقف على مقدمة ، وهى أن الذى دلت عليه الأحاديث أن عيسى عليه السلام يصلى أول صلاة بعد نزوله من السماء وهى صلاة الصبح مؤتماً بإمام المسلمين ، إظهاراً لكرامة هذه الأمة وفضلها . ثم بعد ذلك يتقلد عيسى مقاليد الأمور ، ويصير خليفة المسلمين ، يحكم فيهم بشريعة نبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتجمع له الصلاة أى يصير هو الإمام فيها مع قيامه بأعباء الإمامة العظمى ، ومن هنا تعلم أن قوله فى هذا الحديث : فيؤمهم هو على ظاهره ، لأن هذه الصلاة ليست صلاة الصبح التى يكون عيسى مؤتماً فيها ، بل هى صلاة غيرها . فهو إمام فيها . ولا شك أن مما شرعه الله لهذه الأمة فى جهادها مع العدو صلاة الخوف وهى ثابتة بالكتاب والسنة ، ولها سبع عشرة صفة ذكرها الحافظ العراقى فى شرح الترمذى لكن أصولها ست صفات كما قال ابن القيم فى الهدى ، واعتمده الحافظ فى الفتح ، إذا تقرر هذا فالحديث محمول على أن عيسى عليه السلام يؤم

المسلمين في صلاة خوف وهم يقاتلون الدجال ومن معه فإذا رفع عيسى رأسه من الركوع أمكته الفرصة من العدو فيحمل على الدجال فيقتله ، ومباشرة الأعمال الواجبة الضرورية لا تمنع منها الصلاة كما هو معروف ، وهذا معنى قوله وينزل الله عيسى بن مريم فيؤمهم ، فردا رفع رأسه من الركوع قال : سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال ، أى على يد عيسى ، وإسناد القتل إلى الله من باب قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ، فبهذا التأويل يتضح المعنى ويكون الحديث متفقا مع غيره من الأحاديث متمشيا مع قواعد الشريعة الغراء .

الحديث الثامن عشر:

أخرج أبو يعلى عن أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «والذى نفس أبى القاسم بيده لينزلن عيسى ابن مريم إمام مقسطا وحكما عدلا فليكسرن الصليب ويقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرضن المال فلا يقبله أحد ثم لئن قام على قبرى فقال يا محمد لأجبه» قال الحافظ الهيثمى : رجاله رجال الصحيح أ هـ .

الحديث التاسع عشر:

أخرج أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الفتن عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ينزل عيسى بن مريم فقتل الدجال ويمكث أربعين عاما يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وستى ويموت ويستخلفون بأمر عيسى رجلا من تميم يقال له المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم» .

فصل

الحديث العشرون:

عن حذيفة بن أسيد رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن من طريق فرات القزاز عن أبي الطفيل - وهو صحابي - عن حذيفة ابن أسيد الغفاري ويكنى أبا سريحة - بفتح المهملة - قال اطلع النبي صلى الله عليه واله وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال «ما تذكرون» قالوا نذكر الساعة ، قال «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» ورواه مسلم أيضاً من طريق عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد به موقوفاً وهو لا يضر كما لا يخفى ، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق سفيان بن عيينة عن فرات القزاز أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتذاكر فقال : «ما كنتم تتذكرون» قلنا : كنا نتذكر الساعة ، فقال «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : الدجال والدخان وعيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن أو اليمن تطرد الناس إلى المحشر» .

فصل

الحديث الحادى والعشرون:

عن النواس بن سمعان رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنى يحيى بن جابر الطائى قاضى حمص حدثنى عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفيير الحضرمى أنه سمع النواس بن سمعان الكلابى يقول: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع ، حتى ظنناه فى طائفة النخل، فلما رحنا إليه، عرف ذلك فينا. فقال «ما شأنكم» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل، فقال «غير الدجال أخوفنى عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا» قلنا يا رسول الله : وما لبثه فى الأرض؟ قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال «لا، اقدروا قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال «كالغيث أستدبرته الريح، فيأتى على القوم فيؤمنون به ويستجيبيون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمدّه خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فيتصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها

أخرجى كنوزك ، فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوهُ فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله . ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى إني أخرجت عبداً لى لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها . وير آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض: أنبتى ثمراتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل ، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم

فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج
الحرر فعليهم تقوم الساعة».

فصل

الحديث الثانی والعشرون :

عن عبد الله بن عمرو ، رواه مسلم فى صحيحه من طريق معاذ
العنبرى عن شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم
ابن عروة بن مسعود الثقفى يقول سمعت عبد الله بن عمرو ، وجاءه
رجل فقال : ما هذا الحديث الذى تحدث به تقول : إن الساعة تقوم إلى
كذا وكذا ، فقال : سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما ، لقد
هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً ، إنما قلت : إنكم بعد قليل سترون أمراً
عظيماً ، يحرق البيت ، ويكون ويكون ، ثم قال ، قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم «يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى
أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه
عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين^(١) ليس
بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه
الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن
أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه ، حتى تقبضه» قال : سمعتها من

(١) اعتمد بعضهم ظاهر هذه الرواية فقال إن عيسى يمكث بعد نزوله سبع سنين ولكن
الصحيح أنه يقعد أربعين سنة كما فى أحاديث أخرى صحيحة أما هذا الحديث فيشير
إلى أن السنين السبع الأولى عقب نزوله تكون أحسن مما بعدها - وإن كانت كل أيامه
حسنة - بدليل قوله ليس بعد اثنين عداوة وليس قوله ثم يرسل الله ريحاً إلخ بمناف
لما قلنا لأن ثم للترتيب مع التراخى .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبن؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا. قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل - نعمان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلي ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ، قال: ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق» ورواه مسلم والنسائي في تفسيره عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن النعمان بن سالم به ، ورواه الحاكم من طريق محمد بن جعفر - هو غندر - ثنا شعبة عن النعمان بن سالم به نحوه ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

الحديث الثالث والعشرون:

أخرج الحاكم وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها؟» .

فصل

الحديث الرابع والعشرون:

عن جابر بن عبد الله قال مسلم في صحيحه حدثنا الوليد بن شجاع هرون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر قالوا ثنا حجاج وهو ابن محمد عن

ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة» ورواه ابن حبان في صحيحه قال: أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد ثنا يوسف بن سعيد ابن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج به.

الحديث الخامس والعشرون:

وأخرج أبو يعلى عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم فيقول إمامهم: تقدم فيقول أنت أحق بعضكم أمراء على بعض أمر أكرم به هذه الأمة».

الحديث السادس والعشرون:

وأخرج أبو نعيم في أخبار المهدي عن جابر أيضاً مرفوعاً «ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا فيقول: ألا وإن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة».

الحديث السابع والعشرون:

وأخرج أبو عمرو الداني في سننه عنه أيضاً قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدي فيقال تقدم يا نبي الله فصل بنا فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض».

الحديث الثامن والعشرون:

وأخرج أحمد بإسنادين عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وآله وسلم «يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه» وذكر الحديث فى صفة الدجال إلى أن قال: «يفر الناس إلى جبل الدخان بالشام فيحاصروهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً، ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادى من السحر، فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فيقولون: هذا رجل جنى، فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله فيقول: ليتقدم إمامكم فيصلّى بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرج إليه قال فحين يراه الكذاب ينمات كما ينمات الملاح فى الماء، فيمشى إليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادى: هذا يهودى فلا تترك من كان يتبعه أحد إلا قتله» ، قال الحافظ الهيثمى: رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح قلت وصححه ابن خزيمة أيضاً .

الحديث التاسع والعشرون:

وأخرج الإمام أحمد أيضاً عن جابر قال إن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاماً ممسوحة عينه طالعة نابه فأشفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون هو الدجال وذكر حديث ابن صياد ، وتردد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى شأنه وفى آخره، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إذن لى يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن يكن هو فلست صاحبه، إنما صاحبه عيسى بن مريم، وإلا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد» قال الحافظ الهيثمى: رجال إسناده رجال الصحيح . قلت: هذا الحديث ونحوه محمول على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تردد فى ابن صياد قبل أن يعلمه الله أن الدجال لا يدخل المدينة

ولا مكة كما جاء فى أحاديث كثيرة، ولا شك أن ابن صياد ولد بالمدينة وأسلم وذهب إلى مكة حاجا صحبة أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة ، وهذه أوصاف لا توجد فى الدجال قطعا .

فصل

الحديث الثلاثون:

عن مجمع بن جارية أخرجه الإمام أحمد قال: أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الأنصارى عن عبد الله بن يزيد عن مجمع بن جارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لد أو إلى جانب لد» ورواه أحمد أيضاً عن سفيان ، ومن حديث الليث ، والأوزاعى ، ثلاثهم عن الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن ثعلبة عن عبد الرحمن بن يزيد عن مجمع بن جارية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» ورواه الترمذى عن قتيبة عن الليث عن الزهرى به ، وقال: هذا حديث صحيح، قال : وفى الباب عن عمران بن حصين ونافع بن عتبة وأبى برزة وحذيفة بن أسيد وأبى هريرة وكيسان وعثمان بن أبى العاص وجابر وأبى أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمر وابن عوف وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم أه كلامه ، قال الحافظ ابن كثير: ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى بن مريم عليه السلام له ، فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جداً وهى أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة روايتها فى الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك أه.

فصل

الحديث الحادى والثلاثون:

عن أبى أمانة أخرجه ابن ماجه فى سننه قال حدثنا على بن محمد ثنا عبد الرحمن المحاربى عن إسماعيل بن رافع أبى رافع عن أبى زرعة السيبانى يحيى بن أبى عمرو عن أبى أمانة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله «لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين يديه فأتينا معا، وإن يخرج من دونه فإنا مسلمون» وإن يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه وإن الله خليفته على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيبعث يميناً وبعث شمالاً. ألا يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا وإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى، إنه يبدأ فيقول أنا نبي فلا نبى بعدى، ثم يثنى فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فاناره جنة، وجنته نار» وذكر حديثا طويلا فى أحوال الدجال وأعماله جاء فيه، فقالت أم شريك بنت أبى العكر يا رسول الله : فأين العرب يومئذ؟ قال : «هم قليل، وجلهم يومئذ ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام، فرجع ذلك الإمام يمشى القهقري ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلى بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب فيفتح الباب ووراءه

الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هاربا فيقول عيسى: إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله، ويهزم الله اليهود فلا يبقى شىء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال اقتله» وذكر بقية الحديث فيما يحصل فى زمن عيسى عليه السلام من انتشار الأمن والسلم وظهور البركة فى الأقوات والأرزاق على نحو ما جاء فى الأحاديث الأخرى، قال ابن ماجه بعد روايته: سمعت أبا الحسن الطنائسى يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول: ينبغى أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب ورواه أبو داود فى الملاحم من سنته عن عيسى ابن محمد عن ضمرة عن يحيى بن أبى عمرو السيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى أبى عبد الجبار الشامى عن أبى أمامة به نحوه.

فصل

الحديث الثانى والثلاثون:

عن عثمان بن أبى العاص أخرجه الإمام أحمد والطبرانى من طريق على بن زيد عن أبى نضرة قال أتينا عثمان بن أبى العاص فى يوم الجمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه، فلما حضرت الجمعة، أمرنا فاغتسلنا. ثم أتينا بطيب فتطينا ثم جئنا المسجد، فجلسنا فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصار، مصر بملتقى البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام، فيفزع الناس ثلاث فرعات فيخرج الدجال فى أعراض الناس، فيهزم من قبل المشرق فأول مصر يردون

المصر الذي بملتقى البحرين فيصير أهله ثلاث فرق فرقة تبقى ، تقول : نشامه
ننظر ما هو ، وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ، ومع
الدجال سبعون ألفا عليهم السيجان وأكثر تبعه اليهود والنساء ، ثم يأتي المصر
الذي يليهم ، فيصير أهله ثلاث فرق فرقة تقول : نشامه ننظر ما هو ، وفرقة
تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ، بغربي الشام . وينحاز
المسلمون إلى عقبة أفيق فيبعثون سرحا لهم ، فيصاب سرحهم فيشتد ذلك
عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى أن أحدهم ليحرق وتر
قوسه فيأكله فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السحر : يا أيها الناس أتاكم
الغوث - ثلاثا - فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شبعان ، وينزل
عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر ، فيقول له أميرهم : يا روح الله
تقدم فصل ، فيقول : هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض ، فيتقدم أميرهم
فيصلي ، فإذا صلى به ، أخذ عيسى عليه السلام حربته فيذهب نحو الدجال ،
فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص ، فيضع حربته بين ثنودته فيقتله ،
وينهزم أصحابه فليس شيء يومئذ يوارى منهم أحداً حتى أن الشجرة لتقول :
يا مؤمن هذا كافر قال الحافظ الهيثمي : على بن زيد فيه ضعف وقد وثق ،
وبقية رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح أهـ ورواه الحاكم من طريق
سعيد بن هبيرة عن حماد بن زيد عن أيوب السخيتاني وعلى بن زيد بن
جدعان عن أبي نضرة به ، وأعله الذهبي بأن ابن هبيرة رواه ثم رواه الحاكم
من طريق عفان بن مسلم عن حماد بن زيد عن على بن زيد بن جدعان عن
أبي نضرة به فقال الذهبي هذا هو المحفوظ أهـ قلت : يعنى الذهبي أن
المحفوظ رواية من روى الحديث من طريق على بن زيد وحده ليس معه أيوب
السخيتاني ، فالحديث حسن .

فصل

الحديث الثالث والثلاثون:

عن واثلة بن الأسقع أخرجه الحاكم قال أخبرني أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدى ثنا عمران بن أبي عمران الصوفى ثنا صدقة بن المنتصر ثنا يحيى بن أبي عمر والسيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي حدثني واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدجال ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تحشر الناس تسوق الذر والنمل» قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي ، وعزاه الحافظ الهيثمي إلى الطبراني ، وقال: فى سنده عمران بن هرون وهو ضعيف أ ه قلت: عمران بن هرون هو عمران بن أبي عمران الصوفى المقدسى الرملى يكنى أبا موسى ، قال أبو زرعة: صدوق ، وقال ابن يونس فى تاريخ الغرباء الذين دخلوا مصر بعد إذ ذكر روايته عن الليث وابن لهيعة وابن وهب وغيرهم: فى حديثه لين أ ه وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال: يخطئ ويخالف أ ه وحديث حذيفة ابن أسيد فى صحيح مسلم يشهد لهذا الحديث فى اللفظ والمعنى كما يعلم من الموازنة بينهما ، ولذا أقر الذهبي الحاكم على تصحيحه ، وليس عمران ضعيفا كما أطلق الحافظ الهيثمي ، بل هو صدوق فيه لين أى ضعف خفيف إذ اللين فى الإصطلاح معناه ذلك وهذا هو شرط الحسن والله أعلم .

فصل

الحديث الرابع والثلاثون:

عن عبد الله بن مسعود أخرجه الإمام أحمد قال حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لى بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لى بها فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلى ربى عز وجل أن الدجال خارج، ومعى قضيبان فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص، قال فيهلكه الله إذا رآنى حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم إن تحتى كافراً فتعالى فاقتله، قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيطئون بلادهم فلا يأتون على شىء إلا أهلكوه، ولا يرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس يشكونهم فأعدو الله فيهلكهم ويميتهم، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم وينزل الله المطر، فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر ففيما عهد إلى ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلاً أو نهاراً، ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب به ورواه الحاكم من طريق يزيد بن هرون أيضاً عن العوام بن حوشب حدثنى جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم به نحوه إلا أنه قال «إن الدجال خارج فأهبط فأقتله»

وذكر الحديث، وهذه الرواية تفسر رواية أحمد التى فيها «فيهلكه الله إذا رآنى» والمعنى: أن الله يهلك الدجال بيد عيسى عليه السلام، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ غاية ما فى هذا الأمر أن رواية أحمد عبرت بالحقيقة لأن الذى يخلق الهلاك هو الله سبحانه وتعالى، ورواية الحاكم أسندت الأمر إلى سببه العادى، لأن الذى يباشر قتل الدجال ويكون سببا فى هلاكه هو عيسى عليه السلام، فلا تعارض بين الروایتين كما هو واضح. ثم إن الحديث صححه الحاكم، وأقره الذهبى.

(تنبيه) فى هذا الحديث من اللطائف رواية النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن عيسى عليه السلام، وتسمى هذه الرواية ومثلها برواية الأكابر عن الأصاغر، وهى فن لطيف من فنون علم الحديث أفرد بالتأليف.

فصل

الحديث الخامس والثلاثون:

عن حذيفة بن اليمان أخرجه الحاكم قال: حدثنى أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا محمد بن شاذان الجوهري ثنا سعيد بن سليمان الواسطى ثنا خلف بن خليفة الأشجعى ثنا أبو مالك الأشجعى عن أبى حازم الأشجعى عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران أحدهما نار تأجج فى عين من رآه، والآخر ماء أبيض فإن أدركه منكم أحد فليغمض عينه، وليشرب من الذى يراه نارا فإنه ماء بارد، وإياكم والآخر فإنه الفتنة، واعلموا أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه من يكتب ومن لا يكتب، وإن إحدى عينيه ممسوحة، عليها ظفرة. إنه يطلع من آخر أمره على بطن

الأردن على ثنية أفيق، وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر بيطن الأردن، وإنه يقتل من المسلمين ثلثاً ويهزم ثلثاً ويبقى ثلثاً، ويجن عليهم الليل فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحقوا بإخوانكم فى مرضاة ربكم، من كان عنده فضل طعام فليعد به على أخيه وصلوا حين يتفجر الفجر، وعجلوا الصلاة ثم أقبلوا على عدوكم. فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم صلوات الله عليه أمامهم. فصلى بهم. فلما انصرف قال: هكذا فرجوا بينى وبين عدو الله، قال أبو حازم: قال أبو هريرة: فيذوب كما تذوب الإهالة فى الشمس، وقال عبد الله بن عمرو: كما يذوب الملح فى الماء، وسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم حتى أن الشجر والحجر لينادى: يا عبد الله يا عبد الرحمن يا مسلم هذا يهودى فاقتله فيفنيهم الله ويظهر المسلمون فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير، ويضعون الجزية. فبينما هم كذلك، أخرج الله يأجوج ومأجوج فيشرب أحدهم البحيرة - أى بحيرة طبرية كما فى أحاديث أخرى - ويجيء آخرهم، وقد استقوه فما يدعون فيه قطرة فيقولون: ظهرنا على أعدائنا قد كان ههنا أثر ماء. فيجىء نبي الله وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين يقال لها: «لد» فيقولون: ظهرنا على من فى الأرض فتعالوا نقاتل من فى السماء. فيدعو الله نبيه عند ذلك - أى عند قولهم هذا وتنفيذهم له بأن يوجهوا سهامهم إلى جهة السماء كما جاء فى أحاديث أخرى - فيبعث الله عليهم قرحة فى حلوقهم فلا يبقى منهم بشر فتؤذى ريحهم المسلمين. فيدعو عيسى صلوات الله عليه فيرسل الله عليهم ريحاً - أى ومطراً وطيراً كما فى أحاديث أخرى - فتقذفهم فى البحر أجمعين». قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وسلمه الذهبى. قلت: قوله نزل عيسى بن مريم فصلى بهم الباء هنا بمعنى مع أى فصلى معهم،

ومجىء الباء بمعنى مع كثيرة. نحو اهبط بسلام منا أى مع سلام ، وسبح بحمد ربك أى مع حمده ، والمسألة مبسوسة فى كتب النحو ، وإنما أولناه ليتفق هذا الحديث مع الأحاديث الأخرى المصرحة بأن عيسى يصلى خلف إمام المسلمين صلاة الصبح عقب نزوله ، والقاعدة الأصولية أن الظاهر المحتمل - كالباء فى بهم هنا - يؤول لموافقة النص الصريح ، وقوله فى يأجوج ومأجوج: فيبعث الله عليهم قرحة فى حلوقهم يخالف حديث مسلم الذى يقول: فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم ، وهو الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم ، ويجمع بين الحديثين بأن الله يسلط عليهم الدود فى أعناقهم ورقابهم ، وهو يحدث فيهم القرحة المذكورة.

الحديث السادس والثلاثون:

أخرج نعيم بن حماد عن حذيفة قال: قلت يا رسول الله الدجال قبل أو عيسى بن مريم؟ قال: «الدجال ثم عيسى بن مريم ثم لو أن رجلاً نتج فرساً لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة».

الحديث السابع والثلاثون:

أخرج أبو عمرو الدانى فى سنته عن حذيفة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم كأنما يقطر الماء من شعره فيقول المهدي: تقدم صل بالناس. فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلف رجل من ولدى» الحديث.

الحديث الثامن والثلاثون:

أخرج نعيم بن حماد فى كتاب الفتن عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود»

وأصناف الناس. معه جنة ونار، ورجال يقتلهم ثم يحييهم، ومعه جبل من ثريد، ونهر من ماء، وإنى سأنت لكم نعتة. إنه يخرج ممسوح العين. فى جبهته مكتوب كافر. يقرأه من كان يحسن الكتاب، ومن لا يحسن. فجنته نار، وناره جنة، وهو المسيح الكذاب ويتبعه من نساء اليهود ثلاث عشرة ألف امرأة. فرحم الله رجلا منع سفيهه أن يتبعه، والقوة عليه يومئذ بالقرآن فإن شأنه بلاء شديد. يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له: استعن بنا على ما شئت. فيقول: نعم. انطلقوا فأخبروا الناس إنى ربهم، وأنى قد جئتكم بجنتى ونارى. فينطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان فيتمثلون له بصورة والده، وولده، وإخوته، ورفيقه، ومواليه. فيقولون: أتعرفنا. فيقول الرجل: نعم هذا أبى، وهذه أُمى، وهذه أختى. فيقول الرجل: ما نبأكم؟ فيقولون: بل أنت فأخبرنا ما نبأك؟ فيقول الرجل: إنا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج. فيقول له الشياطين: مهلا. لا تقل هذا فإنه ريبكم يريد القضاء فيكم. هذه جنة قد جاء بها نار، ومعه الأنهار، والطعام، فلا طعام إلا ما كان قبله إلا ما شاء الله. فيقول الرجل: كذبتما أنتم إلا شياطين، وهو الكذاب. وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حدث حديثكم، وحذرنا وأبناءنا منه فلا مرحبا بكم أنتم الشياطين وهو عدو الله، وليسوقن الله عيسى بن مريم حتى يقتله فيخشوا فينقلبوا خاسئين». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أحدثكم هذا لتعقلوه، وتفقهوه، وتفهموه، وتعوه. فاعملوا عليه، وحدثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر فإن فتنته أشد الفتن». وقوله: ومعه رجال يقتلهم ثم يحييهم. هذا بظاهره يعارض ما جاء فى الأحاديث الصحيحة: إن الدجال يسلط على رجل واحد يقتله ثم يحييه، ثم لا يسلط على أحد غيره.

والجواب على ذلك سهل، وهو أن يقال هؤلاء الرجال المذكورون في هذا الحديث هم أتباع الدجال الذين يقتلهم ويحييهم في ظاهر الأمر كما يفعل الممخرقون أصحاب الحيل المعروفون في مصر بالحواة فقد يأتي الواحد منهم بالخروف مثلاً فيشقه نصفين فيما يبدو للعين ثم يرجع كما كان، ولهم في هذا الباب حيل وأعاجيب كلها مخاريق وأكاذيب وهذا بخلاف الرجل الذي يسلط عليه الدجال فإنه رجل مؤمن يعارض الدجال ويكذبه. فيقتله الدجال ثم يحييه. على نحو ما يفعل بأصحابه الذين هم معه. ثم لا يسلط على أحد غيره من المؤمنين حفظاً من الله لهم، وتثبيتاً لإيمانهم. يؤيد ما ذكرناه ما رواه الطبراني عن عبد الله بن معتم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الدجال قال: «ثم يدعو - أي الدجال - برجل فيما يرون فيؤمر به فيقتل، ثم يقطع أعضائه كل عضو على حدة فيفرق بينها حتى يراه الناس، ثم يجمع بينها، ثم يضرب بعصاه فإذا هو قائم. فيقول: أنا الله أحيى وأميت، وذلك كله سحريسحر به أعين الناس ليس بعمل من ذلك شيئاً». فبهذا الجواب ظهر أن لا تعارض ولا تناقض. فالحمد لله على ما ألهم وأعلم.

فصل

الحديث التاسع والثلاثون:

أخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن حذيفة قال: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يسألون عن الخير، وكنت أسأل عن الشر مخافة أن أدركه، وإنى بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم قلت: يا رسول الله أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله. هل بعده من شر؟ كما كان قبله شر؟ قال: «نعم». قلت: فما العصمة منه؟

قال : «السيف» . قلت : وهل للسيف من بقية؟ قال : «هدنة على دخن»
قلت : يا رسول الله ما بعد الهدنة ؟ قال : «دعاة للضلالة فإن لقيت لله
يومئذ خليفة فى الأرض فالزمه ، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك وإلا - وفى
لفظ - فإن لم يكن خليفة فاهربن فى الأرض حد هربك - أى متتهى هربك-
حتى يدركك الموت وأنت عاض على أصل شجرة» . قلت يا رسول الله :
فما بعد دعاة الضلالة ؟ قال : «خروج الدجال» . قلت يا رسول الله : وما
يجىء به الدجال ؟ قال : «يجىء بنار و نهر فمن وقع فى ناره وجب أجره
وحط وزره» قلت يا رسول الله : فما بعد الدجال ؟ قال : «عيسى بن مريم،
قلت : فما بعد عيسى بن مريم ؟ قال : «لو أن رجلاً نتج فرساً لم يركب
مهرها حتى تقوم الساعة» .

فصل

الحديث الأربعون:

عن عبد الله بن مغفل أخرجه الطبرانى فى معجميه الكبير والأوسط
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما أهبط الله تعالى
إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال ،
وقد قلت فيه قولاً لم يقه أحد قبلى : إنه آدم جعد ممسوح عين اليسار . على
عينه ظفرة غليظة ، وإنه يبرىء الأكمه والأبرص ، ويقول : أنا ربكم فمن قال
ربى الله فلا فتنة عليه - أى فى دينه لا فى دنياه - ومن قال : أنت ربى فقد
افتتن - أى كفر- يلبث فيكم ما شاء الله ثم ينزل عيسى بن مريم مصداقاً
بمحمد على ملته إماماً مهدياً ، وحكما عدلاً فيقتل الدجال» . فكان الحسن -
يعنى البصرى - يقول : ونرى أن ذلك عند الساعة . قال الحافظ الهيثمى :
رجاله ثقات ، وفى بعضهم ضعف لا يضر أهـ . قلت : ولذا قال الحافظ

السيوطى فى الإعلام بحكم عيسى عليه السلام - وقد عزا الحديث إلى الطبرانى والبيهقى فى البعث - إن سنده جيد .

فصل

الحديث الحادى والأربعون :

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أخرجه الإمام أحمد عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أبكى . فقال : «مايكيك » قلت يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن يخرج وأنا فيكم كفيتموه ، وإن يخرج بعدى فإن ربكم عز وجل ليس بأعور . إنه يخرج من يهودية أصبهان - اسم مكان نسب إليه بعض العلماء كما فى كتب الكنى والأنساب - حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها ، ولها يومئذ سبعة أبواب ، على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتى الشام مدينة فلسطين بباب لد قال أبو داود مرة : حتى يأتى مدينة فلسطين فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله ، ويمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة إماماً عدلاً ، وحكما مقسطاً» . قال الحافظ الهيثمى : رجاله رجال الصحيح غير الحضرمى بن لاحق ، وهو ثقة . قلت : ورواه ابن حبان فى صحيحه قال : أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السخثيانى ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا الحسن بن موسى الأشيب ثنا شيبان ابن عبد الرحمن عن يحيى بن أبي كثير عن الحضرمى بن لاحق عن أبى صالح عن عائشة .

فصل

الحديث الثانى والأربعون :

عن سمرة بن جندب أخرجه الإمام أحمد والطبرانى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إن الدجال خارج ، وهو أعور عين الشمال ،

عليها ظفرة غليظة، وإنه يبصر الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى - أى على الطريقة التى بينها فى الكلام على حديث حذيفة - ويقول للناس: أنا ربكم. فمن قال: أنت ربى فقد فتن، ومن قال: ربى الله حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنه الدجال، ولا فتنه عليه فيلبث فى الأرض ما شاء الله - أربعين يوماً على ما صرح به فى الأحاديث الأخرى - ثم يخرج عيسى بن مريم قبل المغرب - أى جهة المغرب، وهى الشام - مصدقاً بمحمد فيقتل الدجال، وإنما هو قيام الساعة» كناية عن شدة قرب وقوعها يومئذ. قال الحافظ الهيثمى: رجال الحديث رجال الصحيح. قال: ورواه البزار بإسناد آخر ضعيف.

فصل

الحديث الثالث والأربعون:

أخرج أحمد ، والبزار ، وابن جرير ، والطبرانى ، والطحاوى ، وسعيد بن منصور ، والبيهقى عن سمرة بن جندب فى حديث الكسوف قال : خطب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وشهد أنه عبد الله ورسوله ، ثم قال : «أيها الناس أنشدكم بالله إن كنتم تعلمون أنى قصرت عن شىء من تبليغ رسالات ربى لما أخبرتمونى ذلك» . قال : فقام رجال فقالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، وقضيت الذى عليك . ثم قال : «أما بعد فإن رجالاً يزعمون أن كسوف هذه الشمس ، وكسوف هذا القمر ، وزوال هذه النجوم عن مطالعها ، لموت رجال عظماء من أهل الأرض ، وإنهم قد كذبوا ، ولكنها آيات من آيات الله يختبر بها عباده . فينظر من يحدث له منهم توبة ؟ وأيم الله لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقوه فى أمر دنياكم وآخرتكم ، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال ، وإنه متى يخرج فسوف يزعم أنه

اللّٰه تعالى . فمن آمن به ، وصدق به ، واتبعه لم ينفعه عمل صالح من عمل سلف ، ومن كفر به ، وكذبه لم يعاقب بشيء من عمله سلف ، وإنه سوف يظهر على الأرض كلها إلا الحرام وبيت المقدس ، وإنه يسوق الناس إلى بيت المقدس فيحصرون حصراً شديداً . قال : فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيقتله وجنوده . حتى أن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادى : يا مسلم هذا كافر تعالى فاقته ، ولن يكون ذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها في أنفسكم فتساءلون بينهم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها شيئاً ؟ وحتى نزول جبال عن مراتبها ، ثم علي أثر ذلك الموت» . قال الحافظ الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد العبدى وثقة ابن حبان اهـ ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان أيضاً .

فصل

الحديث الرابع والأربعون:

عن أنس أخرجه الحاكم من طريق ريحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «سيدرك رجال من أمتي عيسى بن مريم ، ويشهدون قتال الدجال» قال الحافظ الذهبي : حديث منكر ، وعباد ضعيف . قلت كذا قال ؟ مع أن معنى الحديث متواتر كما هو معلوم ، وقد صحح الذهبي نفسه أحاديث أبي هريرة ، وواثلة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وفيها الأخبار بخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام كما تقدم . وعباد بن منصور قال عنه القطان : ثقة لا ينبغي أن يترك حديثه لرأى أخطأ فيه - يعنى القدر - ولينه أبو زرعة ، وقال ابن معين : ليس حديثه بالقوى ، ولكن

يكتب ، ولم يذكر الذهبى هذا الحديث فى الميزان من منكرات عباد ،
ووجدت الحافظ الهيثمى عزاه لأبى يعلى وضعفه بعباد أيضاً ، ولعله تبع
الذهبى فى ذلك ، وقد أخرجه الطبرانى أيضاً بإسناد فيه معاوية واهب . قال
الحافظ الهيثمى : لم أعرفه ، ولفظ رواية الطبرانى : «أنا أول من يدخل الجنة
يوم القيامة وأشفع وسيدرك رجال من أمتى» الحديث وبمجموع الطريقين
يكتسب قوة .

الحديث الخامس والأربعون :

أخرج الحاكم أيضاً من طريق إسماعيل بن عياش عن أيوب عن أبى
قلادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أدرك
منكم عيسى بن مريم فليقرأه منى السلام» .

فصل

الحديث السادس والأربعون :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أخرجه أبو نعيم فى أخبار المهدي
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «منا الذى يصلى عيسى بن
مريم خلفه» .

الحديث السابع والأربعون :

عن عمران بن حصين رضى الله عنه أخرجه الحافظ أبو عمر والدانى
فى سنته عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تزال طائفة
من أمتى تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند طلوع
الفجر ببیت المقدس ينزل على المهدي فيقال : تقدم يا نبى الله فصل بنا فيقول
هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض» قلت : كل من حديث لا تزال طائفة

من أمتى ، وحديث المهدي متواتر ، أما الأول فقد صرح بتواتره ابن تيمية في أول كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، وذكر طرقة شقيقنا الحافظ السيد أحمد في الأجوبة الصارفة ، وأما الثاني فصرح بتواتره جماعة من الحفاظ وأنكره ابن خلدون فرد عليه شقيقنا المذكور في كتاب سماه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» جمع فيه أطراف المسألة جمعا متقنا وهو مطبوع بدمشق ، وقد كنت كتبت نحو عشر مقالات في مجلة الإسلام بعنوان ظهور المهدي حق ، أوردت فيها أحاديث المهدي عن بضعة وثلاثين صحابيا ، وثلاثة من التابعين وجمعتهما في تأليف مستقل^(١) .

فصل

الحديث الثامن والأربعون

عن ابن عباس رضى الله عنهما أخرجه أبو نعيم في أخبار المهدي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى بن مريم في آخرها والمهدي في أوسطها» ورواه الحاكم في تاريخ نيسابور وابن عساكر في تاريخ دمشق ولفظ روايتهما «كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى ابن مريم في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها ؟» والمراد بالوسط ما قبل الآخر ، قاله المناوي وغيره . وقال ابن حجر الهيتمي المراد بالوسط قريب آخرها ، حتى لا ينافى الروايات المصرحة بأنه في آخرها ولتقدمه بيسير على عيسى وصفه بأنه وسط ووصف عيسى بأنه آخر أهـ .

(١) وسنطبعه آخر هذا الكتاب .

الحديث التاسع والأربعون :

أخرج اسحق ابن بشر وابن عساكر عن ابن عباس قال : الدجال أول من يتبعه سبعون ألفا من اليهود عليهم التيجان يعنى الطيالة ومعه سحرة اليهود ، يعملون العجائب ، ويرونها الناس فيضلونهم بها ، وهو أعور مسح العين اليمنى ، يسلمه الله على رجل من هذه الأمة فيقتله ثم يضربه فيحييه ، ثم لا يصل إلى قتله ، ولا يسلم على غيره ، وتكون آية خروجه تركهم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتهاونا بالدماء ، وضيعوا الحكم وأكلوا الربا ، وشيدوا البناء وشربوا الخمر ، اتخذوا القيان ، ولبسوا الحرير ، وأظهروا بزة آل فرعون ، ونقضوا العهد ، وتفقهوا لغير الدين ، وزينوا المساجد . وخربوا القلوب ، وقطعوا الأرحام ، وكثرت القراء ، وقلت الفقهاء ، وعطلت الحدود ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، فتكافى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء بعث الله عليهم الدجال ، فسلط عليهم حتى ينتقم منه وينحاز المؤمنون إلى بيت المقدس ، قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «فعند ذلك ينزل أخى عيسى بن مريم من السماء على جبل أفيق»^(١) إماما هاديا وحكما عادلا عليه برنس له مربوع الخلق أصلت سبط الشعر بيده حربة يقتل الدجال فإذا قتل الدجال تضع الحرب أوزارها ، فكان السلم فيلقى الرجل الأسد فلا يهيجه ، ويأخذ الحية فلا تضره ، وتنبت الأرض كنباتها على عهد آدم ويؤمن به أهل الأرض ، ويكون الناس أهل ملة واحدة» قلت : هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فالواقع يؤيده ويقويه ، إذ أغلب ما أشار إليه الحديث أو كله موجود حاصل ، والفساد فى ازدياد ، نسأل الله العفو والعافية .

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه .

فصل

الحديث الخمسون :

عن ثوبان أخرجه الإمام أحمد والنسائي والضياء المقدسي في المختارة عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم» . قال المناوي في شرح الجامع الصغير : إسناده حسن . قلت : بل إخراج الضياء للحديث في المختارة يقتضى أنه صحيح ، ثم رأيت الحافظ الهيثمي عزاه للطبراني في الأوسط وقال : سقط تابعيه ، والظاهر أنه راشد بن سعد وبقية رجاله ثقات . قلت : ذهل عن عزوه إلى المسند . مع أن السند فيه تام . قال أحمد : ثنا أبو النضر ثنا بقية ثنا عبد الله بن سالم وأبو بكر بن الوليد الزبيدي - بالضم - عن لقمان بن عامر الوصابي عن عبد الأعلى بن عدى البهراني عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فذكر الحديث ، ورجاله ثقات ، وبعضهم موثق .

فصل

الحديث الحادى والخمسون :

عن عبد الرحمن بن سمرة أخرجه الحكيم الترمذى في نوادر الأصول عنه قال : بعثنى خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مؤتة . فلما دخلت عليه قلت : يا رسول الله فقال : «على رسلك يا عبد الرحمن ، أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل رحم الله زيداً ، ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل فقتل رحم الله جعفرأ ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل فقتل رحم الله عبد الله ، ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله

لخالد فخالد سيف من سيوف الله» . فبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم حوله . فقال : «ما يبكيكم» قالوا : وما لنا لا نبكى ، وقد قتل خيارنا وأشرفنا وأهل الفضل منا ؟ فقال : «لا تبكوا فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكيسها وهبأ مساكنها وحلق سعفها فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً فلعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً وأطولها شمراخاً والذي بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلقاً من حواريه .

فصل

الحديث الثانى والخمسون :

عن نافع بن كيسان الثقفى أخرجه ابن عائد وتما فى فوائده ، وابن شاهين وابن عساكر كلهم من طريق عبد الرحمن بن أيوب بن نافع بن كيسان عن أبيه عن جده نافع بن كيسان صاحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم رفعه : «ينزل عيسى بن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لست ساعات من النهار فى ثوبين ممشقين كأنما ينحدر من رأسه اللؤلؤ» . قلت : فى إسناده ضعف واضطراب . وهذا الحديث يفيد أن عيسى ينزل بالنهار بعد مضى ست ساعات منه والنهار فى عرف الشرع من طلوع الفجر إلى المغرب ، فيخالف الأحاديث الأخرى المصرحة بأنه ينزل سحراً قرب طلوع الفجر بيت المقدس ، وأن إمام المسلمين يدعوه ليصلى بهم فيمتنع . ويجاب عن ذلك بأن عيسى عليه السلام ينزل نهاراً فى دمشق كما فى هذا الحديث ، ثم يتوجه نحو بيت المقدس فيوافيه سحراً كما فى الأحاديث الأخرى ، والله أعلم

فصل

الحديث الثالث والخمسون :

عن كيسان بن عبد الله بن طارق أخرجه البخاري في التاريخ والطبراني وابن السكن وابن منده من طريق ربيعة بن ربيعة عن نافع بن كيسان عن أبيه سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق» ورواه الربيعي في فضائل الشام ، وتما في فوائده من طريق هشام بن خالد عن الوليد ابن مسلم عن ربيعة به . قال الحافظ ابن حجر : رجاله ثقات . قال : وقيل في هذا عن نافع بن كيسان ليس عن أبيه ، وسيأتي في النون . يعنى حديث نافع بن كيسان الذى ذكرناه آنفاً . ثم قال الحافظ : ونقل ابن أبى حاتم عن أبيه أن من قال فى الحديث فى نزول عيسى عن نافع ابن كيسان عن أبيه أخطأ ، وإنما هو عن نافع بن كيسان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أ هـ . قلت : كذا قال أبو حاتم ؟ وفيه شيء ، لأن كلا من نافع وكيسان صحابى . فما المانع أن يكون كل منهما روى حديث نزول عيسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا سيما وقد روى البخارى هذا الحديث عن كيسان بإسناد رجاله ثقات كما رأيت ، والبخارى أحفظ من أبى حاتم ، وأعلم بعلل الأحاديث وأسانيدھا منه بل هو شيخ الحفاظ وأمير المؤمنين فى الحديث ، وأبو حاتم نفسه إنما استمد فى كلامه على العلل والرجال من تاريخ البخارى . كما صرح به أهل الفن ، وكذلك أبو زرعة ومسلم بن الحجاج والترمذى وغيرهم كلهم كانوا يستمدون من البخارى كما هو معلوم ، والله أعلم .

فصل

الحديث الرابع والخمسون والخامس والخمسون:

عن نافع بن عتبة وأبى برزة أشار إليهما الترمذى فى سنته لما روى حديث مجمع بن جارية، وقد نقلنا كلامه فيما سبق فليرجع إليه .

فصل

الحديث السادس والخمسون:

عن عمرو بن عوف المزنى أخرجه ابن عدى فى الكامل قال : حدثنا بهلول بن إسحق ومحمد بن جعفر الإمام قالا : حدثنا إسماعيل بن أبى أويس حدثنى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ابن زيد بن طلحة عن أبيه عن جده . قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول غزوة غزاها الأبواء حتى إذا كنا بالروحاء ، نزل بعرق الظبية فصلى ، ثم قال : «اسم هذا الجبل رحمة جبل من جبال الجنة اللهم بارك فيه ، وبارك لأهله فيه» . ثم قال للروحاء : «هذه سجاسج^(١) وإنها واد من أودية الجنة . لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبياً ، ولقد مر بها موسى عليه عباةتان قطوانيتان على ناقة ورقاء فى سبعين ألفاً من بنى إسرائيل حاجين البيت ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى عبد الله ورسوله حاجاً أو معتمراً» . قلت : غزوة الأبواء هى غزوة ودان ، وهى أول مغازيه عليه الصلاة والسلام كانت على رأس سنة من مقدمه للمدينة رمى فيها سعد بن أبى وقاص سهماً واحداً وهو

(١) سجاسج : جمع سجسج ، وهى الأرض التى تكون وسطاً بين الصلابة والسهولة، وقوله - قبل ذلك - رجمة بالجيم هو الحجارة ووقع فى ميزان الذهبى رحمة وشخاشيخ وهما تصحيف .

أول سهم رمى فى الإسلام ، ولم يحصل فيها قتال . بل وادع النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنى ضمرة على ألا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جمعاً ، ولا يعينوا عليه عدوا . ثم انصرف إلى المدينة بعد إذ غاب عنها خمس عشرة ليلة .

فصل

الحديث السابع والخمسون :

عن بعض الصحابة أخرجه معمر فى جامعه عن الزهرى أخبرنى عمرو بن سفيان الثقفى أخبرنى رجل من الأنصار عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدجال . فقال : «يأتى سباخ المدينة وهو محرم عليه أن يدخلها» ، وذكر الحديث وحصار الدجال للمسلمين بيت المقدس إلى أن قال : «فيتبايعون - أى المسلمون - على القتال بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم ، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة فيقول : من أنت . فيقول : أنا عبد الله وروحه وكلمته عيسى ، اختاروا إحدى ثلاث : بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً جسيماً أو يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم سلاحهم ويكف سلاحهم فيقولون : هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا فيومئذ ترى اليهودى العظيم الطويل الأكل الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون إليهم فيسلطون عليهم ويذوب الدجال حتى يدركه عيسى فيقتله» .

فصل

الحديث الثامن والخمسون:

عن أبي الدرداء رضى الله عنه أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير أمتى أولها وآخرها وفى وسطها الكدر، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها». إسناده ضعيف كما قال المناوى.

فصل

الحديث التاسع والخمسون:

من مرسل جبير بن نفيير أخرجه ابن أبى شيبة والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول والحاكم من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه قال: لما اشتد جزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من قتل يوم مؤتة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليدركن الدجال من هذه الأمة قومًا مثلكم أو خيرًا منكم - ثلاث مرات - ولن يخزى الله أمة وأنا أولها وعيسى بن مريم آخرها». قال الذهبي: مرسل، وهو خبر منكر أهد. قلت: أما الإرسال فمجبور بورود الحديث موصولاً من طريق عبد الرحمن بن سمرة كما تقدم مع وجود شواهد لمعناه كحديث ابن عمرو وابن عباس وغيرهما. وأما النكارة فالذهبي قصد بها ما يفيد ظاهر الحديث من أفضلية غير الصحابة عليهم، وهو خلاف ما اقتضته الأدلة وانعقد عليه الإجماع من أفضلية الصحابة على سائر الأمة. ويجاب عن ذلك بأن الحديث خرج مخرج التسمية والتسلياة للصحابة عمن فقدوهم يوم مؤتة، وليس ظاهره مراداً ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى جزعهم وحزنهم آزاد

أن يسرى عنهم فأخبرهم أن الخير لا ينقطع عن هذه الأمة المحمدية على مدى الزمان حتى أن الدجال إذا خرج أدرك قوماً هم في الفضل والخير مثل الصحابة، إن لم يكونوا خيراً منهم ، وذكرت الخيرية هنا تأييداً لحصول المثلية المذكورة قبلها، وأنها متحققة بحيث لم يبق شك إلا فيما زاد عليها من الخيرية - أى الأفضلية - ومثل هذا التعبير شائع معهود ، والمراد بالمثلية فى الحديث أن هؤلاء القوم الذين يدركهم الدجال يماثلون الصحابة فى شدة التمسك بالحق وانفرادهم بالدفاع عنه فى وقت يعم فيه الفساد ويجمع اليهود، وفى مقدمتهم الدجال، على محاربة المسلمين واستئصال شأفتهم كما كان الحال فى صدر الإسلام. وليس المراد أنهم مثل الصحابة فى جميع ما لهم من المزايا والفضائل^(١) ، والحاصل أن الحديث يدل على بقاء الخير فى هذه الأمة وعدم انقطاعه فهو بمعنى الحديث الآخر: «مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»، وفى رواية: «مثل أمتى مثل المطر يجعل الله فى أوله خيراً وفى آخره خيراً». والحديث فى مسند أحمد وسنن الترمذى وغيرهما من طرق، وهو حديث حسن. أما حديث «الخير فىّ وفى أمتى إلى يوم القيامة» فلا أصل له، وسئل عنه الحافظ ابن حجر فقال: لا أعرفه، والله أعلم.

فصل

الحديث الستون:

من مرسل الحسن البصرى أخرجه ابن جرير فى تفسيره قال: حدثنى المشنى حدثنا إسحق ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه فى قول الله تعالى: «إنى متوفيك».

(١) ذكر ابن العربى فى الأحكام فى الكلام عن قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم» الآية حديث أبى ثعلبة: إن من ورائكم أيام الصبر للعامل فيها أجر خمسين منكم، فقالوا: بل منهم، وقال: بل منكم، الحديث وأجاب عنه بجواب حسن يراجع هناك.

قال : يعنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه . قال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لليهود : «إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» .

فصل

الحديث الحادى والستون :

من مرسل عروة بن رويم أخرجه أبو نعيم فى الحلية عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «خير هذه الأمة أولها وآخرها . أولها فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآخرها فيهم عيسى بن مريم عليه السلام وبين ذلك نهج أعوج ليس منك ولست منهم» . قلت : قوله وبين ذلك نهج أعوج هو بمعنى حديث أبى الدرداء «وفى وسطها الكدر» وكلاهما يشير إلى ما يحصل فى الوسط من فتن ومعاصى وعقائد زائغة كما هو مشاهد فى هذا الزمن . نسأل الله العفو والعافية .

فصل

فهذه ستون حديثًا يروىها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية وعشرون صحابيًا، وثلاثة تابعين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحًا لا يحتمل تأويلًا ولا روغانًا فهل يجوز للمتعلم قبله العالم أن يشطب على هذه الأحاديث بجرة قلم ويقول عنها ما قاله صاحب الفتوى حيث جاء فيها (ص ٥١٥ و ٥١٦ من العدد ٤٦٢ من مجلة الرسالة) ما نصه : «أما آية النساء فإنها تقول : «بل رفعه الله إليه» ، وقد فسرّها بعض المفسرين - بل جمهورهم - بالرفع إلى السماء ويقولون : إن الله ألقى على غيره شبهة ، ورفع به جسده إلى السماء فهو حى فيها ، وسينزل منها آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويعتمدون فى ذلك ، أولاً : على روايات

تفيد نزول عيسى بعد الدجال، وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث، وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهم فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل. وثانياً: على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد، وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى المغيبات، أ هـ كلامه وهو مع إيجازه جامع لعدة أغلاط:

(الأول) قوله فى آية النساء: وقد فسرهما بعض المفسرين - بل جمهورهم - بالرفع إلى السماء يفيد: أن من المفسرين من فسرهما بغير الرفع، وهذا غير صحيح فإن المفسرين متفقون على القول برفع عيسى إلى السماء، ووافقهم من قال بموته أيضاً وهما وهب بن منبه وابن حزم ودونك كتب التفسير فإنك واجد فيها ما ذكرناه لا ما زعمه صاحب الفتوى.

(الثانى) قوله: على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال، عبر بالروايات إشارة إلى أنها ليست عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا غير صحيح. بل ما عبر عنه بالروايات كله أحاديث مرفوعة لا موقوفة ولا مقطوعة كما علم مما تقدم، ولم يكن العلماء ليجمعوا على اعتقاد نزول عيسى اعتماداً على روايات لم ترفع، وهم أنفسهم مجمعون على أن المغيبات لا يعمل فيها إلا بما صح عن المعصوم كما نبه عليه غير واحد منهم.

(الثالث) قوله: وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وهذا غير صحيح. فإن تلك الأحاديث أو

الروايات - على حد تعبيره - كلها متفقة على الإخبار بتزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب إلخ ما جاء فيها، غاية ما فى الأمر أن بعضاً منها يفصل ، وآخر يجمع ، وبعضاً يوجز ، وآخر يطنب ، وهذا كما يفعل القرآن العظيم إذ يورد القصة الواحدة فى سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التى ذكرت فيها . فلعل صاحب الفتوى ظن مثل هذا التخالف الذى يقوى شأن الحديث ، ويدل على تعدد مخارجه تعارضاً . فأخطأ . وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لا مجال معه للجمع بينها، وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أعمل فكره وأمعن نظره وأخلص فى بحثه لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر فى أذيال الخجل .

(الرابع) قوله : وقد نص على ذلك علماء الحديث - يعنى أنهم نصوا على الاضطراب وتعذر الجمع - وهذا غير صحيح . فعلماء الحديث نصوا على التواتر ، لا الاضطراب ، وعلى وجوب اعتقاد ما تضمنه ، لا على رده بدعوى اضطراب وتعذر جمع موهومين ، وستتلى عليك نصوصهم بعد بحول الله .

(الخامس) قوله : وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار ، وهذا غير صحيح . فلقد ذكرنا ستين حديثاً من طرق أحد وثلاثين شخصاً ليس فيهم وهب ولا كعب . أفليست هذه الدعوى وغيرها فى كلامه دلائل على أنه ما أخلص فى بحثه؟!

(السادس) قوله : وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام يقصد بهذا الكلام نقصهما وتقليل شأنهما كما هو ظاهر من دلالة السياق ، وما

قصده خطأ غير صواب . لأن كونهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام مما يمدحان به ويغبطان عليه . لما روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ثلاثة لهم أجران . رجل من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» . فلكل من وهب وكعب أجران بنص الحديث ، وهى مزية لهما على صاحب الفتوى الذى يجرحهما بما هو مدح وثناء ، ولهذه المناسبة يجب أن نقول : إن الطعن فى الراوى بكونه من أهل الكتاب طريقة الشيخ رشيد رضا فى رد الأحاديث التى تخالف هواه ، وهى طريقة غير جيدة ، لأنها تفتح الباب على مصراعيه للمبتدعين الزائغين فى تجريح كثير من الصحابة والتابعين . ثم هى مخالفة لما عليه المحدثون فإن العبرة عندهم بثقة الراوى وعدالته ، لا بأصل دينه ونشأته ، فقد يكون الرجل مجوسياً . ولكنه ساعة رواية الحديث مسلم ثقة فمن ذا يقول إن روايته ترد الآن لمجوسيته بالأمس ؟ لا أحد يقول ذلك . بل المحدثون كلهم يقولون : العبرة بوقت الأداء لا بوقت التحمل - أى أنه لو تحمل الحديث وهو كافر ثم أداه وهو مسلم - قبل أدائه بلا نزاع . وانظر تراجم الصحابة والتابعين تجد كثيرين منهم كانوا مجوساً أو أهل كتاب فلم يضرهم ذلك عند الله وعند الناس شيئاً إذ أسلموا وأتقوا وأحسنوا . بل كانوا هم خير القرون وأفضل الأمة بالنص والإجماع . فليطمئن صاحب الفتوى وليعلم أن ما سلكه فى التجريح تبعاً للشيخ رشيد وحده لا يفيد عند المحدثين ولا عند غير المحدثين .

(السابع) قوله : وقد عرفت درجتهم في الحديث عند علماء الجرح والتعديل يريد بهذا تضعيفهما وعدم قبول روايتهما ، ونحن نقول بموجه - لكن على غير ما يريد - نعم : قد عرفت درجتهم عند علماء الجرح والتعديل بالثناء عليهما وتعديلهما ، والجواب عما قيل في حقهما : فوهب بن منبه يقول عنه الذهبي في الميزان : من أخيار علماء التابعين حديثه عن أخيه همام في الصحيحين ، وكان ثقة صادقاً كثير النقل من كتب الإسرائيليات ، قال العجلي : ثقة تابعي كان على قضاء صنعاء ، وقال مثني بن الصباح : لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً . ضعفه الفلاس وحده ووثقه جماعة . قال الجوزجاني : كتب كتاباً في القدر ، ثم ندم . وقال أحمد بن حنبل : كان يتهم بشيء من القدر ثم رجع أهـ . وكعب الحبر أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي . روى عنه من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وغيرهما وجماعة من التابعين ، وكان عمر يقول له : خوفنا يا كعب ، وكان يستشير في أشياء ويعمل برأيه ، وذكره أبو الدرداء فقال : إن عنده علماً كثيراً ، وقال معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبيرة قال : قال معاوية : ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالشمار وإن كنا فيه لمفرطين ، وكان عبد الله بن الزبير يقربه ويسمع منه الشيء الكثير ، وشهد له بالصدق فيما كان يحدثه به . قرأت في الجزء الثاني من أمالي عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : قال عبد الله ابن الزبير : ما شيء كان يحدثنا به كعب إلا قد جاء على ما قال ، إلا قوله : إن فتى ثقیف يقتلنی ، وهذا رأسه بين يدي عن المختار . قال : يقول ابن سيرين : ولا يشعر أن أبا محمد - يعنى الحجاج - قد خبيء له أهـ ، وكذلك معاوية كان يأخذ عنه ، ويسمع منه ، ويقول : كان من

أصدق هؤلاء الذين يحدثوننا . يعنى مسلمى أهل الكتاب . أما قوله :
وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . فمحمول عند العلماء على
الإسرائيليات التى كان يحدث بها فإن فيها الكذب . لا أنه يكذب لأنه ثقة
كما فى الجزء الثانى من تاريخ ابن كثير وغيره ، وقال النووى : اتفقوا على
كثرة علمه وتوثيقه أهـ ، والمقصود أن كعبا ووهبا ثقتان من خيار التابعين .

(الثامن) قوله : وثانيا على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على
الإخبار بنزول عيسى ، هذا غلط من وجهين : الأول أن المفسرين وغيرهم لم
يستندوا فى القول بنزول عيسى إلى حديث أبى هريرة وحده بل إلى
الأحاديث الكثيرة المتعددة التى صرحوا بأنها متواترة . الثانى وهو (التاسع)
فى سلسلة الأغلاط : أن حديث أبى هريرة لم يقتصر على الإخبار بنزول
عيسى بل أخبر - مع ذلك - بأنه يقتل الخنزير والدجال ويكسر الصليب
ويدعو الملل كلها إلى الإسلام ، ودونك أحاديث أبى هريرة التى أوردناها
فهى ناطقة بكل ذلك . (العاشر) قوله : وإذا صح هذا الحديث فهو حديث
آحاد هذا غلط من وجهين أيضاً : الأول أن غرضه بقوله وإذا صح هذا
الحديث التشكك فى صحته كما يدل عليه سياق الكلام وروح الفتوى ،
وحينئذ فالصحيح عربية استعمال إن الشرطية لأنها تدل على الشك . أما
استعمال إذا فغلط لأنها مختصة بالمتيقن والمظنون كما صرح به النحويون فى
كتبهم وذكره الحافظ فى فتح البارى الثانى ، وهو (الحادى عشر) من الأغلاط
قوله : فهو حديث آحاد وهذا غلط لا يحتاج إلى بيان لأنه واضح مما تقدم ،
ومما يأتى إن شاء الله . (الثانى عشر) قوله : وقد أجمع العلماء على أن
أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة - وهذا غير صحيح - وبيان ذلك أن العلماء
اختلفوا فى خبر الواحد هل يفيد الظن أو العلم على قولين . الأول : أنه

إنما يفيد الظن فقط ، وإلى هذا ذهب الجمهور ، ثم اختلفوا فذهب أكثرهم إلى أنه لا يفيد العلم سواء انضمت إليه قرائن أم لا ؟ وذهب الآمدي وابن الحاجب وابن السبكي وغيرهم إلى أنه يفيد العلم بانضمام قرائن إليه . قال السيد الشريف في حاشية الشرح العضدي : هذا هو المختار ، وكذا قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة ، الثاني : أن خبر الواحد العدل يفيد بنفسه العلم اليقيني النظري من غير انضمام قرينة . وإلى هذا ذهب أحمد بن حنبل ، وحكاه ابن خويز منداد البغدادى المالكى عن مالك بن أنس واختاره وأطال في تقريره في كتاب له في أصول الفقه ، وحكاه ابن حزم الحافظ في كتاب الأحكام عن الحارث ابن أسد المحاسبى وداود بن على الأصبهانى إمام أهل الظاهر ، والحسين ابن على الكرابيسى ، قال : وبه نقول ، ثم اختلفوا . فقال أحمد في أحد قوليه وابن حزم وغيرهما : حصول العلم بخبر الواحد العدل مطرد ، وقال آخرون : لا يطرد . فجملة الأقوال في خبر الواحد أربعة^(١) ، وعلى القول الثانى المختار . فالخبر المحتف بالقرائن أنواع : حديث الشيخين ، والحديث المستفيض ، ويسمى المشهور ، والحديث المسلسل بالحفاظ الأئمة . كما لك وأضرابه . فكل واحد من هذه الأحاديث يفيد العلم . كما يعلم من محله . إذا تقرر هذا فاعلم أن الذين يرون خبر الواحد مفيداً للعلم . يقولون إنه يفيد العقيدة كما هو واضح ، ولذا كان الإمام أحمد يستند فى كثير من الصفات والعقائد السمعية إلى أحاديث آحاد صحيحة ، وكذلك يفعل ابن حزم فى كلامه على العقائد . بل هذا هو

(١) الأول يفيد الظن مطلقاً . الثانى يفيد العلم بقرينة ، وهو المختار . الثالث يفيد العلم من غير قرينة باطراد . الرابع يفيد العلم لا باطراد .

مقتضى صنيع المحدثين كالبخارى ومسلم وابن خزيمة وأصحاب السنن والحاكم وغيرهم إذ يستدلون فى كتاب التوحيد من مصنفاتهم بأحاديث صحيحة تتعلق بالله ، أو برسله وملائكته ، أو الحشر وما يتبعه ، أو بالقضاء والقدر ، أو غير ذلك من السمعيات . وللحافظ البيهقى كتاب الأسماء والصفات ، وكتاب الاعتقاد ، من رآهما أو غيرهما من كتبه وكتب غيره تيقن صحة ما قلناه ، والمسألة مبسطة فى كتب المصطلح المتداولة أثناء الكلام ، على العمل بالحديث الضعيف فى الفضائل دون العقائد والأحكام .

أما الذين يقولون : إن خبر الواحد لا يفيد عقيدة فهم معظم الجمهور إذ يرونه مفيداً للظن مطلقاً كما تقدم ، ومما ذكرناه يتبين لك أن الاجماع الذى حكاه صاحب الفتوى غير صحيح .

(الثالث عشر) قوله : ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات - أى أن العلماء أجمعوا على أنه لا يصح الاعتماد على أحاديث الآحاد فى شأن المغيبات - كذا قال ؟ ! وهى دعوى أوسع من الغبراء ، وأكبر من أن تظللها الخضراء فكيف تحمل تبعتها صاحب الفتوى على ضعفه ؟ ! لم يقل أحد من العلماء قبل هذا الوقت - لا من المحدثين ، ولا من الفقهاء^(١) ولا من الأصوليين ولا من المتكلمين - إن حديث الآحاد لا يعتمد عليه فى المغيبات ، بل الإجماع منعقد على ضد ذلك . فانظر - كتب السنة على اختلاف أنواعها من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم وأجزاء وكتب التفسير وكتب السير والمعجزات والخصائص وكتب الملاحم وأشراف الساعة وكتب الترغيب

(١) إلا ما حكاه ابن تيمية فى رفع الملام عن طوائف من الفقهاء فيما يختص بالوعيد ثم رده انظر ص ٩٩-١٠٢ من مجموعة الرسائل الكبرى له .

والترهيب - تجدها ملأى بأحاديث الآحاد فى شأن المغيبات من ثواب وعقاب
وأخبار عن أشياء ماضية وآتية وغير ذلك . وشراح الحديث كالخطابى وابن
بطل والداودى والمازرى وعياض والنوى والقرطبى والكرمانى ومغلطائى وابن
سيد الناس والدميرى والعراقى وابن حجر والعينى والطيبى وزكريا الأنصارى
والسيوطى والقسطلانى والزرقانى وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ، كلهم -
على اختلاف مذاهبهم - متفقون على قبول هذه الأحاديث ، والاستنباط منها
وعدها من أعلام النبوة وتأويل ما أشكل ظاهره منها ، والجمع بين متعارضها .
ثم كتب المصطلح كلها تنص على أن الصحابى إذا قال قولاً ليس للاجتهاد
فيه مجال ، ولم يكن يأخذ عن الإسرائيليات . فقولهم مرفوع حكماً - أى
يحكم بأنه سمعه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم - وما فائدة المرفوع
سوى العمل به ؟ وإذا نقلوا أشياء فى المغيبات عن بعض الصحابة أو التابعين
ممن عرف بالأخذ عن الإسرائيليات يعقبونها بقولهم : مثل هذا لا يقبل فيه
إلا ما صح عن المعصوم . تجد ذلك فى مواضع من كتب البيهقى خصوصاً
الأسماء والصفات ، وفى تفسير ابن كثير وتاريخه ، وغيرهما . بل صرح
ابن كثير فى أول تاريخه بأن العمدة والاستناد فى المغيبات على كتاب الله
وسنة رسوله مما صح نقله أو حسن ، ونقل كلامه الحافظ السخاوى فى كتاب :
«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريف» ، وفى كتاب : «الأصل الأصيل فى تحريم
النقل من التوراة الإنجيل» ، وأقره وأيده .

فصل

ولو سلمنا جدلاً أن حديث أبى هريرة آحاد كما تزعم الفتوى فيجب
الاعتماد عليه فى هذه المسألة لأمر :
:

(الأول) أن نزول عيسى عليه السلام من الأحداث الواقعة في الدنيا قبل انقراضها . فهو خبر كغيره من الأخبار التاريخية المتعلقة بحوادث هذا العالم ، وما كان من هذا القبيل لا يشترط فيه التواتر . بل يكفي فيه خبر الواحد العدل بإجماع المؤرخين والأخباريين ، ووجوب التصديق بوقوع هذا الحادث من أجل أن الشارع أخبر به . لا يجعله من قسم العقائد التي يطلب فيها البرهان كالإلهيات والنبوات . ذلك لأن كل ما أخبر به الشارع يجب تصديقه حتى في الفروع الفقهية كما هو معلوم ، ولذا قال الأستاذ أبو إسحق الاسفرايني وغيره : إن المباح مكلف به من حيث وجوب اعتقاد إباحته .

(الثاني) أننا لو قلنا : إن نزول عيسى من قبيل العقائد فنقول : المعتبر في العقيدة شرعاً هو العقد الجازم ، وهذا قد يحصل بخبر الواحد وبالتقليد بناء على ما صححه ابن السبكي وغيره ، والقول بأن إيمان المقلد لا يصح قصرًا للإيمان على أهل البرهان منسوب إلى أبي الحسن الأشعري ، وهو وإن صححه السنوسي في شرح الكبرى مردود عند جماعة المحققين ، وقد شنعوا على الأشعري بأنه يلزمه إكفار العوام ، وهم غالب المؤمنين وقال أبو القاسم القشيري في دفع التشنيع : هذا القول مكذوب عليه . لكنه مشهور عنه - كما في المقاصد - فلا سبيل إلى تكذيبه . فالأولى في دفع التشنيع ما سلكه التاج السبكي في رفع الحاجب حيث قال : التقليد يطلق تارة بمعنى قبول قول الغير بغير حجة ، ويسمى اتباع العامي لإمامه تقليدًا على هذا ، وهو العرف ، وتارة بمعنى الاعتقاد الجازم لا لموجب . والتقليد على هذا ، وهو العرف ، وتارة بمعنى الاعتقاد الجازم لا لموجب . والتقليد بالمعنى الأول قد يكون ظناً ، وقد يكون وهمًا كما في تقليد إمام في فرع من الفروع ، مع تجويز أن يكون الحق في خلافه ولا شك أن هذا لا يكفي في الإيمان عند سائر الموحدين ،

ولعله مقصود الأشعرى بقوله : لا يصح إيمان المقلد . قال : وأما التقليد بالمعنى الثانى فكان أبى رحمه الله يقول : لم يقل أحد من علماء الإسلام إنه لا يكفى فى الإيمان إلا أبو هاشم من المعتزلة ، وأنا أقول : إن هذا لا يتصور فإن الإنسان إذا مضى عليه زمن لا بد أن يحصل عنده دليل ، وإن لم يكن على طريقة أهل الجدل . فإن فرض مصمم جازم لا دليل عنده فهو الذى يكفره أبو هاشم ، ولعله المنسوب إلى الأشعرى والصحيح أنه ليس بكافر ، وأن الأشعرى لم يقل ذلك .

نعم . اختلف أهل السنة فى أنه : هل هو عاص ؟ والأصح عند أبى حنيفة رحمه الله أنه مطيع ، وعند آخرين : أنه عاص ، وهو الخلاف فى وجوب النظر فاعرفه أهـ .

(الثالث) أن خبر الأحاد يفيد العلم عند القرينة على المختار كما تقدم وحديث أبى هريرة قد احتفت به قرائن منها : كونه مخرجاً فى الصحيحين ومنها : وروده من طرق ، ومنها : تسلسله فى بعض الطرق بالأئمة الحفاظ المتقنين فقد رواه البخارى عن علي بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، وهؤلاء بحور العلم وأطواد الرواية . الواحد منهم يقوم مقام عدد كثير من غيرهم ، وبالله التوفيق .

فصل

وقد ثبت نزول عيسى عليه السلام بالقرآن أيضاً كما ثبت بالسنّة المتواترة ، وذلك فى بضع آيات :

(الأول) قول الله تعالى فى البشارة بعيسى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ . قال ابن جرير فى تفسيره : حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب قال

سمعتة . يعنى ابن زيد يقول فى قوله : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ . قال : قد كلمهم عيسى فى المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال ، وهو يومئذ كهل ، وقال ابن جرير أيضاً : حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . قال : متوفيك قابضك . قال : متوفيك ورافعك واحد قال : ولم يمِت بعد ، حتى يقتل الدجال وسيموت ، وتلا قول الله عز وجل : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ . قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً . قال : وينزل كهلاً . وقال الحسين بن الفضل البجلي : إن المراد بقوله : «وكهلاً» أن يكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء فى آخر الزمان ، ويكلم الناس ، ويقتل الدجال . قال الحسين بن الفضل : وفى هذه الآية نص فى أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض أ هـ . وقال ثعلب فى قوله : «وكهلاً» ينزل عيسى إلى الأرض كهلاً أ هـ .

وقال العلامة الألوسى فى الكلام على هذه الآية ما نصه : «ويكلم الناس فى المهد وكهلاً» عطف على الحال الأولى أيضاً ، وعطف الفعل على الاسم لتأويله به سائغ شائع ، وهو فى القرآن كثير ، والظرف حال من الضمير المستكن فى الفعل ، ولم يجعل ظرف لغو متعلقاً به مع صحته لعطف وكهلاً عليه ، والمراد يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً ، والمقصود التسوية بين الكلام فى حال الطفولية ، وحال الكهولة ، وإلا فالكلام فى الثانى ليس مما يختص به عليه السلام ، وليس فيه غرابة ، وعلى هذا فالمجموع حال - لا كل على الاستقلال - وقيل : إن كلا منهما حال والثانى تبشير ببلوغ سن الكهولة ، وتحديد لعمره ، والمهد : مقر الصبى فى رضاعه ، وأصله مصدر سمي به . وكان كلامه فى المهد ساعة واحدة بما قص الله تعالى لنا ، ثم لم يتكلم حتى بلغ أوان الكلام ، قاله ابن عباس وقيل : كان يتكلم دائماً ، وكان كلامه فيه

تأسيساً لنبوته، وإرهاصاً لها على ما ذهب إليه ابن الأخشيد، وعليه يكون قوله: «وجعلنى نبياً» إخباراً عما يؤول إليه.

وقال الجبائي: إنه سبحانه، أكمل عقله عليه السلام إذ ذاك، وأوحى إليه بما تكلم به مقروناً بالنبوة، وجوز أيضاً أن يكون ذلك كرامة لمريم دالة على طهارتها وبراءة ساحتها مما نسبته أهل الأفك إليها، والقول بأنه معجزة لها بعيد، وإن قلنا بنبوته. والكهل ما بين الشاب والشيخ، ومنه اكتهل النبات إذا طال وقوى، وقد ذكر غير واحد: أن ابن آدم ما دام في الرحم فهو جنين. فإذا ولد فهو وليد. ثم ما دام يرضع فهو رضيع. ثم إذا قطع اللبن فهو فطيم. ثم إذا دبّ وغما فهو دارج. فإذا بلغ خمسة أشبار فهو خماسى. فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور. فإذا نبتت أسنانه فهو مثغر بالتاء والثاء. كما قال أبو عمرو، فإذا قارب عشر سنين أو جاوزها فهو مترعر وناشئ. فإذا كاد يبلغ الحلم - أو بلغه - فهو يافع ومراهق. فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو حرور، واسمه فى جميع هذه الأحوال غلام. فإذا اخضر شاربه وأخذ عذاره يسيل. قيل: قد بقل وجهه. فإذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع. ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب. ثم كهل إلى أن يستوفى الستين. ويقال لمن لاحت فيه أمارات الكبر: وخطه الشيب. ثم يقال: شاب ثم شمط. ثم شاخ. ثم كبر. ثم هرم. ثم دلف. ثم خرف. ثم أهتر. ومحافظه إذا مات، وهذا الترتيب إنما هو فى الذكور. ثم ذكر الترتيب فى الإناث ثم قال: وعلى ما ذكر فى سن الكهولة يراد بتكليمه عليه السلام كهلاً تكليمه لهم كذلك بعد نزوله من السماء، وبلوغه ذلك السن، بناء على ما ذهب إليه سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وغيرهما أنه عليه السلام رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة،

وأنه سينزل إلى الأرض ويبقى فيها أربعاً وعشرين سنة كما رواه ابن جرير بسند صحيح عن كعب الأحبار ، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد فى الآية قال : قد كلمهم عيسى فى المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل أهـ قلت : الصحيح أن عيسى عليه السلام يمكث فى الأرض بعد نزوله أربعين سنة كما جاء فى الحديث الصحيح . هذا وزعم ابن القيم فى زاد المعاد أن ما يذكر من أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه . قال الشامى فى سيرته : وهو كما قال ، فإن ذلك إنما يروى عن النصارى والمصرح به فى الأحاديث أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة أهـ ، ونقله الزرقانى فى شرح المواهب مستشهداً به على ما صححه من أن عيسى ويحيى عليهما السلام إنما بعثهما الله بعد بلوغ أربعين سنة كسائر الرسل . معللاً ذلك بأن سن الأربعين ، هو سن الكمال . قلت : هذا كله عن الصواب بمعزل ، والعجب من ابن القيم كيف نفى وجود أثر فى المسألة مع أنه ورد فيها حديث مرفوع ، وآثار عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وابن زيد وغيرهم من علماء التابعين . قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه ما نصه : قال الحسن البصرى : كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة ، وفى الحديث : أن أهل الجنة يدخلونها جرءاً مردأً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين ، وفى الحديث الآخر : على ميلاد عيسى ، وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أهـ ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا هاشم بن القاسم ثنا صفوان بن صالح ثنا رواد بن الجراح العسقلانى ثنا الأوزاعى عن هرون بن رثاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم

ستين ذراعاً بذراع الملك^(١) على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون». وأما ما رواه الحاكم في المستدرک ويعقوب بن سفيان الفسوى في التاريخ عن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتنى فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرها: أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله، وأن جبريل أخبرنى أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة، فلا أرانى إلا ذاهباً على رأس ستين^(٢)، فهو حديث غريب كما قال الحافظ ابن كثير في تاريخه. ونقل عن الحافظ ابن عساكر أنه قال: الصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر أه، وما رواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: قالت فاطمة قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن عيسى بن مريم مكث فى بنى إسرائيل أربعين سنة ضعيف أيضاً، لأنه منقطع كما قال الحافظ ابن كثير، وما جاء فى الحلية عن زيد بن أرقم مرفوعاً: «ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبي الذى كان قبله» إسناده واه كما قال المناوى فى شرح الجامع الصغير، وقول ابن الديبع إسناده حسن -- غير حسن - وحديث «ما من نبي نبي إلا بعد الأربعين» لا أصل له، وقد ذكره الزمخشري فى تفسير سورة القصص من الكشف فقال الحافظ الزيلعى فى تخريج أحاديثه: لم أجده، وكذا قال الحافظ ابن حجر فى اختصاره لتخريج الزيلعى، بل ورد ما يعارضه. قال الطبرانى فى الأوسط:

(١) الملك - بكسر اللام - وذراع الملك يكنى به العرب عن الذراع الكامل غير المنقوص.
(٢) مما يضعف هذا الحديث مخالفته لأصح الروايات وأشهرها فى قدر عمر النبي عليه السلام وهو ثلاث وستون سنة. انظر شروح الصحيحين وكتب السير.

حدثنا محمد بن عمر بن منصور البجلي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا وهو شاب، ولا أوتي عالم علماً إلا وهو شاب، والصحيح الذي اعتمده المحدثون والمؤرخون كابن جرير وابن كثير وغيرهما أن عيسى عليه السلام أنزل عليه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة، ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وهو الذي اعتمده أيضاً جمهور العلماء. قال الشهرستاني في الملل والنحل: وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون، وقد أوحى إليه انطافاً في المهدي، وإبلاغاً عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. فلما رفع إلى السماء اختلف الخواريون وغيرهم فيه أ هـ.

تنبيهان: (الأول) روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار» فهذا الحديث يخالف ما سبق، والجواب عنه من وجهين: (أحدهما) أن إسناده ضعيف. (وثانيهما) ما ذكره ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، وهو: أن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين: تارة يذكرون النيف للتحريز، كما في الأحاديث المتقدمة، وتارة يحذفونه كما في هذا الحديث. قال ابن القيم: وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم أ هـ.

(الثاني) لعل أحداً يعترض ما نقلناه عن ابن زيد وغيره في تفسير الآية من أن عيسى عليه السلام إنما يكون كهلاً بعد نزوله إلى الأرض بما جاء في كتب اللغة: أن الكهل من جاوز الثلاثين، وقيل: من بلغ أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين، وقد يؤيد اعتراضه بما جاء في البحر المحيط لأبي حيان حيث قال في تفسير الآية ما نصه: لم يتعرض لوقت كلامه إذا كان كهلاً.

ف قيل : كلامه قبل رفعه إلى السماء . كلمهم بالوحي والرسالة ، وقيل : ينزل من السماء كهلا ابن ثلاث وثلاثين سنة . فيقول لهم : إني عبد الله كما قال في المهدي ، وهذه فائدة قوله : وكهلا أخبر أنه ينزل عند قتله الدجال كهلا قاله ابن زيد أه .

وعلى هذا يكون عيسى عليه السلام قد كلم الناس كهلا ، وتحققت الآية الكريمة ، ولم يكن فيها دلالة على نزوله إلى الأرض آخر الزمان .

(والجواب) أن الكهل حقيقة من بلغ أربعين سنة . مأخوذ من قولهم : اكتهل النبت إذا تم طوله ، وظهر نوره . قال الأعشى :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

أى منتهاه في الحسن والتمام ، ولا شك أن سن الأربعين هو نهاية أشد الإنسان ووقت استواء قوته ، وكماله عقله . قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ الآية ، وورد عن مجاهد تفسير الكهل بالخليم ، وهو تفسير باللازم غالباً كما قال أبو حيان قال : لأن الكهل يقوى عقله وإدراكه وتجربته فلا يكون في ذلك كالشارخ أه . أما ما بين الثلاثين والأربعين . فهو سن الشباب . بدليل ما تقدم في كلام الألوسى نقلاً عن غير واحد ، وهو المنصوص عليه في المخصص وغيره ، بل ورد الحديث به أيضاً . وروى أبو بكر بن أبي داود من طريق الأوزاعي عن هرون بن رثاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرذا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم» . فهذا الحديث نص في المسئلة كما ترى .

نعم. قد يطلق الكهل على من جاوز ثلاثين سنة. كما جاء فى كتب اللغة: لكنه إطلاق مجازى. لأن الشخص إذا جاوز الثلاثين من عمره دخل فى عقد الأربعين. ثم هو بحسب الغالب المعتاد فى أعمار الناس، واصل إلى نهاية العقد - فصح تسميته كهلاً بهذا الاعتبار - على سبيل المجاز المرسل، ويسمى هذا النوع مجاز الأول. (فإن قيل): لا يتعين ما ذكرته، بل يجوز أن يكون لفظ الكهل حقيقة فيمن بلغ الأربعين، ويكون من قبيل المشترك اللفظى.

(فالجواب على هذا) أن الاشتراك خلاف الأصل والتجوز - وإن كان مثله فى ذلك - فهو أولى منه. لأنه أكثر استعمالاً فى الكلام. حتى ادعى ابن جنى أن أغلب اللغات مجاز، ولهذا قال الأصوليون: إذا دار اللفظ بين أن يكون مجازاً أو مشتركاً فالراجح حمله على المجاز. لأنه أعم وأغلب. نص عليه الإمام الرازى فى المحصول وابن الحاجب فى المنتهى، وابن السبكي فى جمع الجوامع، وغيرهم. قال الشوكانى فى إرشاد الفحول: وهو الحق. فما سلكتاه هو المتعين من حيث القواعد اللغوية والأصولية، وبهذا يتبين أن من حمل قوله تعالى «ويكلم الناس فى المهد وكهلاً» على أنه كلمهم بالوحى والرسالة قبل رفعه إلى السماء. حمله على معنى مجازى، والمجاز لا بد له من قرينة، ولا قرينة تعين هذا المجاز فى الآية. فالواجب تفسيرها بما ذكره ابن زيد والحسين ابن الفضل البجلي وغيرهما، واختاره الألوسى حيث لم يعرج على غيره كما تقدم، وتكون الآية الكريمة دالة على نزول عيسى عليه السلام، ومبشرة أيضاً بنجاته من الصلب. لأن اليهود تعرضوا له قبل سن الكهولة، وقد وعد الله ببلوغه إياه. فلا بد من تحقيق وعد الله، وذلك يقتضى أنه حى الآن كما هو ظاهر، وبالله التوفيق.

فصل

(الآية الثانية) قول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ، وهذه مثل الآية الأولى ، والكلام فيها مثل الكلام فيها ، ولذا قال الحافظ السيوطى فى تكملة تفسير الجلال المحلى عقب قوله : وكهلا ، ما نصه : يفيد نزوله قبل الساعة . لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران أ هـ ، وقال فى آل عمران ما قررناه آنفاً .

(تنبيه) اشتملت هذه الآية والتى قبلها على نكتتين لطيفتين :

(الأولى) الإخبار بأن عيسى عليه السلام يكلم الناس كهلا ، وقد قال المفسرون : إن هذا وعد من الله بأنه سيعيش إلى سن الكهولة ، وهو معنى صحيح . لكن فى الآية - مع هذا - معنى آخر لم يعرجوا عليه فيما علمت ، وهو الإشارة إلى أن كلامه كهلا يأتى على خلاف المعتاد المعهود . فإن الناس يتكلمون كهولا وشباناً . ليس فى ذلك ما يدعو إلى العجب ، ولكن العجيب فى شأن عيسى عليه السلام أن يرفع شاباً ويغيب مئات السنين فى عالم لا تجرى عليه الأغيار الجثمانية ، ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلا . لا جرم أن هذا أمر غريب استحق لقوابله أن ينوه الله به فى آيتين من كتابه بطريق البشارة تارة والامتنان تارة أخرى ، ولذا قابله فى كلتا الآيتين بأمر لا يقل عنه غرابة ، وهو كلامه فى المهد . فاشتملتا بذلك على معجزتين عظيمتين ، وإلى هذا أشار أحمد بن يحيى ثعلب بقوله : ذكر الله لعيسى آيتين : تكليم الناس فى المهد ، فهذه معجزة ، والأخرى نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فهذه الآية الثانية أ هـ . وقوله ابن ثلاثين سنة : لعله سبق لسان عن قوله أربعين . لأن عيسى رفع ابن ثلاث وثلاثين سنة .

(النكتة الثانية) التعبير بالناس حيث قال تعالى : «ويكلم الناس» ولم يقل : ويكلم بنى إسرائيل ، أو قومه ، كما هو المعهود فى كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل إليهم خاصة ، للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب ، بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان ، وقرأ قوله تعالى فى سورة آل عمران فى شأن البشارة بعيسى عليه السلام : ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ ، وانظر كيف خص رسالته بقومه فقط لأنه لم يكن مرسلا إلى غيرهم ، ثم قابله بقوله تعالى : «ويكلم الناس فى المهد وكهلا» تجد بينهما تخالفاً فى الخصوص والعموم ، مع أنهما فى سياق البشارة والتنويه بعيسى عليه السلام . فما هذا التخالف - والله أعلم - إلا للنكتة التى أبديناها ، وللإشارة إلى أن كلامه فى حالتى طفولته وكهولته ليس بوصف كونه رسولا . فتأمل هذا جيداً واحفظه فإنه من أسرار الكتاب الكريم ، وهو مما فتح الله به على . فالحمد لله حمداً كثيراً .

فصل

(الآية الثالثة) قول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ . معنى الآية : وإن من أهل الكتاب . أى ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به - أى بعيسى عليه السلام - وذلك عند نزوله آخر الزمان حاكماً بهذه الشريعة المحمدية . داعياً إليها . فلا يبقى يهودى ولا نصرانى إذ ذاك إلا آمن به أنه عبد الله ورسوله ، وتصير الملل كلها ملة واحدة هى : ملة الإسلام ، ويوم القيامة يكون عليهم - أى على اليهود - شهيدا ، يشهد على من كفر به منهم ، وكذبه ، وافترى عليه . فالضميران فى به ، وفى موته عائدان على عيسى عليه السلام ، وراجعان إليه

كما تبين . وهذا التفسير الذى ذكرناه فى الآية هو تفسير أبى هريرة وابن عباس وقتادة وابن زيد وأبى مالك والحسن وغيرهم .

(أما تفسير أبى هريرة) فقد ثبت عنه فى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما ، وأوردناه بأسانيده فى أول أحاديث النزول ، فلا حاجة إلى إعادته .

(وأما تفسير ابن عباس) فرواه الفريابى وعبد بن حميد الكشى والحاكم وغيرهم عنه فى قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ . قال : خروج عيسى عليه السلام ، وصححه الحاكم ، وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من طرق بعضها صحيح عن ابن عباس فى قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ . قال : قبل موت عيسى . وروى ابن جرير عنه أيضاً فى الآية نفسها قال : يعنى أنه سيدرك أناس من أهل الكتاب حين يبعث عيسى فيؤمنون به .

(وأما تفسير قتادة) فرواه ابن جرير عنه ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال : قبل موت عيسى ، إذا نزل آمنت به الأديان كلها ، ورواه أيضاً من طريق آخر نحوه .

(وأما تفسير ابن زيد) فرواه ابن جرير عنه فى قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ . قال : إذا نزل عيسى فقتل الدجال لم يبق يهودى فى الأرض إلا آمن به .

(وأما تفسير أبى مالك) فرواه ابن جرير أيضاً عنه فى قوله : ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ . قال ذلك عند نزول عيسى بن مريم : لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمن به .

(وأما تفسير الحسن) فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ثنا علي بن عثمان
 اللاحقى ثنا جويرية بن بشير قال : سمعت رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد قول
 الله عز وجل : «إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» . قال : قبل موت
 عيسى . إن الله رفع إليه عيسى وهوباعثه قبل يوم القيامة مقامًا يؤمن به البر
 والفاجر ، وروى ابن جرير عنه نحوه من طرق متعددة ، وهذا هو المتعين الذى
 لا يجوز غيره ولا يصح سواه ، والدليل عليه أمور : (أحدها) أنه قول أبى هريرة
 وابن عباس وهما صحابيَّان جليلان شاهدا التنزيل ، وعرفا مقاصده بسليقتهما
 العربية ويتلقيهما عن الرسول . (ثانيها) أنه موافق للأحاديث المتواترة التى
 صرحت بنزول عيسى ، وأن جميع الكتائب يؤمنون به ، بعد نزوله ، وتصير الملل
 كلها ملة واحدة ، ولهذا كان أبو هريرة إذا روى حديث «والذى نفسى بيده
 ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
 الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين» .
 يقول عقبه : وقرأوا إن شئتم ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾
 للإشارة إلى أن الحديث يفسر الآية ويعين المراد منها فهما متطابقان متوافقان .

(ثالثها) أن المتحدث عنه فى الآيات قبل هذه الآية هو عيسى عليه السلام .
 اقرأ قوله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
 حَقٍّ﴾ الآيات . تجد الكلام مسوقًا لتبرئة عيسى عليه السلام مما رمى به . فوجب
 أن تكون الضمائر كلها راجعة إليه ، أخذًا بدلالة السياق ، وعملا بما توجهه
 قواعد اللغة العربية التى نزل بها القرآن العظيم ، ولا يجوز العدول عن هذا إلا
 لمقتضى يقتضى ذلك ، ولا مقتضى للعدول هنا البتة .

(رابعها) أنه لو أعيد الضمير فى به أو فى موته على غير عيسى عليه

السلام. لوجب أن يكون مرجع أحد الضميرين غير مرجع الضمير الآخر ، وفى ذلك تشيت للضمائر من غير أن تكون قرينة فى اللفظ تدل عليه ، بخلاف ما لو عادا إلى عيسى عليه السلام . فإن الكلام يستقيم على وتيرة واحدة من غير تشيت ولا تعقيد .

(أما من ادعى أن الضمير فى موته عائد على الكتابي) ، والمعنى : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به - أى بعيسى قبل موت الكتابي - وذلك إذا عاين قبل أن تزهق روحه . فتمسك بما جاء عن ابن عباس أنه فسر به ذلك . فقال له عكرمة : فإن أتاه رجل فضرب عنقه . قال : لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه . قال : وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع . قال : يتكلم بها فى الهواء ، ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ، وجاء عن مجاهد وعكرمة والضحاك وابن سيرين نحو ذلك . وبأن قراءة أبى بن كعب فى هذه الآية : ﴿وَأَنَّ مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ﴾ - بضم النون - من يؤمن ، وضمير الجمع فى موتهم ، وهى تعين عود الضمير على الكتابي ، وإنما جمع الضمير باعتبار أن أحداً المقدر فى الآية فى معنى الجمع .

(والجواب) أن الذى استفاض عن ابن عباس وصح عن أبى هريرة وغيره ، هو القول الأول دون الثانى ، ولو فرضنا صحة القولين عنه فيترجح الأول منهما بموافقة للحديث المتواتر ، ولقواعد اللغة العربية - كما قدمناه آنفاً - فيتعين المصير إليه ، وقراءة أبى شاذة لا يجوز الاحتجاج بها كما لا تجوز تلاوتها ، بناء على ما صححه إمام الحرمين ، وأبو نصر القشيري ، وابن السمعاني ، وابن الحاجب ، وغيرهم من عدم جواز الاحتجاج بالقراءة الشاذة ، وهو مذهب مالك ، وقال النووي : إنه مذهب الشافعي ، لأنها نقلت آحاداً فيما تتوفر الدواعي على

نقله تواترا ، ولأنها قد تكون مذهباً لصاحبها . كقراءة ابن مسعود . فإن كثيراً منها تفسيرات بحسب اجتهاده ، ولو جوزنا الاحتجاج بها بناء على ما صححه ابن السبكي من إجرائها مجرى الآحاد ، فذلك حيث لا يوجد ما هو أقوى منها ، وفى هذا الموضع وجد الحديث المتواتر الذى عين المراد من الآية ، كما تقدم عن أبى هريرة وغيره ، والمتواتر مقدم على الآحاد إجماعاً . قال الحافظ ابن كثير فى الكلام على هذه الآية ما نصه : قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول ، ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح . لأنه المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام ، وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك . فأخبر الله تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وأنه باق حى ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة . كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التى سنورها قريباً إن شاء الله . فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » أى قبل موت عيسى الذى زعم اليهود - ومن وافقهم من النصارى - أنه قتل وصلب ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً - أى بأعمالهم التى شاهدوها منهم قبل رفعه إلى السماء ، وبعد نزوله إلى الأرض - أما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابى لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع . وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به ، فيؤمن به ، ولكن لا يكون إيماناً نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك . كما قال تعالى فى أول هذه السورة : « وليست التوبة للذين

يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن» ، وتعالى : «فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده» الآيتين . لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا . بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى وبقاء حياته فى السماء ، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ، ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى أه كلامه ، وقال أيضاً بعد أن نقل قول الحسن الذى ذكرناه بإسناده فيما تقدم قريباً ما لفظه : وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله أه . ويعنى بالدليل القاطع الأحاديث المتواترة فى نزول عيسى عليه السلام ، كما هو واضح ، وقال الإمام العلامة أبو حيان فى البحر المحيط ما نصه : والظاهر أن الضميرين فى به وفى موته عائدان على عيسى ، وهوسياق الكلام ، والمعنى : من أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان . فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة ، وهى ملة الإسلام ، قاله ابن عباس والحسن وأبو مالك أه . وبهذا يرد قول العلامة الآلوسى : إن عود الضمير فى موته على عيسى غير ظاهر . ذلك أن أبا حيان - مع تقدمه فى التفسير والحديث إمام فى اللغة العربية والنحو والقراءات غير منازع . بل لا يعلم فيمن تكلم على تفسير القرآن أنحى منه . فهو حين استظهر عود الضميرين على عيسى عليه السلام ، إنما استظهر ما اقتضته قواعد اللغة العربية التى برز فيها على غيره حتى ألفت إليه بالمقاليد

(وأما من ادعى عود الضمير فى به على محمد عليه الصلاة والسلام) وهو منقول عن عكرمة فقد أغرب فى الدعوى وأتى بما لا يستطيع أن يقيم عليه دليلاً ، بل لو تأمل هذا القائل قليلاً وأدرك ما يلزم على قوله هذا من الركافة التى ينتزه عنها القرآن ، لعدل عن كلامه معترفاً ببطلانه وقد قال ابن

جرير فى إبطاله ما نصه: وأما الذى قال عنى بقوله : ليؤمنن به قبل موته ، ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فمما لا وجه له مفهوم ، لأنه لم يجر لمحمد صلى الله عليه وسلم فى الآيات التى قبل ذلك ذكر ، فيجوز صرف الهاء التى فى قوله ليؤمنن به إلى أنها من ذكره ، وإنما قوله : ليؤمنن به ، فى سياق ذكر عيسى وأمه واليهود ، فغير جائز صرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة . فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد .

{تنبيه} تين مما أوردناه من الأدلة أن احتمال عود الضمير فى موته على الكتابى ضعيف ، واحتمال عوده فى به على غير عيسى باطل ، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحجية ، ولا تقوى للاستمسك فتكون الآية الكريمة نصاً فى حياة عيسى ونزوله بمعونة ما ذكر ، واللفظ يكون نصاً بنفسه تارة ، وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى وليس كل احتمال فى اللفظ يؤثر فى نصوصيته كما يتوهم كثير ممن لم يحكموا قواعد علم الأصول .

فصل

(الآية الرابعة) قول الله تعالى فى سورة الزخرف فى الكلام على عيسى عليه السلام : ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ . أى وإن عيسى لعلم للساعة تعلم بنزوله فلا تشكن فيها ، بهذا فسرهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم . قال ابن حبان فى صحيحه : ذكر البيان بأن نزول عيسى بن مريم من أعلام الساعة . أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل حدثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن عاصم عن أبى رزين عن أبى يحيى مولى ابن عفراء

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله : « وإنه لعلم للساعة » قال نزول عيسى بن مريم من قبل يوم القيامة . هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وعاصم من أئمة القراء المشهورين . وجاء عن ابن عباس وأبى مالك والحسن ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وابن زيد وغيرهم مثل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأثارهم مروية فى تفسير ابن جرير بأسانيد مختلفة ، وطرق متعددة ، كلها تصرح بأن المراد بالآية نزول عيسى قبل قيام الساعة ، وهذا التفسير هو المتعين الذى لا يجوز فى الآية غيره ، والدليل عليه أمور : (أحدها) أنه الذى صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم . (ثانيها) أن سياق الكلام فى عيسى عليه السلام اقرأ قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴾ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ . فغير جائز صرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة . كما قال ابن جرير فيما سبق . (ثالثها) أنه لو أعيد الضمير على غير عيسى كما قيل لأوجب ذلك ركة فى اللفظ تنتزه عنها بلاغة الكتاب الحكيم . (قال العلامة الآلوسى) ما نصه : وعن الحسن وقتادة وابن جبير أن ضمير إنه للقرآن لأن فيه الإعلام بالساعة فجعله عين العلم مبالغة أيضاً . وضعف بأنه لم يجر للقرآن ذكر هنا مع عدم مناسبة ذلك السياق ، وقالت فرقة : يعود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وفيه من البعد ما فيه وكان هؤلاء يجعلون ضمير : أم هو ، وضمير : إن هو ، له صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ، وهو كما ترى أهد . (وقال أيضاً أثناء تحييص الأقوال) ما نصه :

وكذلك رجوع الضمير إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى : «أم هو» مع رجوعه إلى عيسى عليه السلام فى قوله «إن هو إلا عبد» - أى لا يجوز أيضاً - وفيه من فك النظم ما يجب أن يسان الكتاب المعجز عنه ، ولا يكاد يقبل القول بـرجوع الضمير الثانى إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، ولعل الرواية عن الخبر غير ثابتة أهـ . قلت : قد تحقق ترجى الآلوسى ، فإن الذى صح عن ابن عباس إعادة الضمائر فى أم هو . وإن هو . وإنه . على عيسى عليه السلام ولم يأت عنه خلاف هذا بإسناد ثابت . كما أن قتادة لم يقل قط : أن الضمير فى وإنه . للقرآن ، وإنما حكاه عن غيره كما رواه عبد الرزاق وابن جرير وغيرهما فذكره مع القائلين به سهو وغفلة .

وإليك نصوص المفسرين فى تأييد ما ذهبنا إليه ، قال الإمام العلامة أبو حيان فى البحر ما نصه : والظاهر أن الضمير فى : وإنه لعلم للساعة يعود على عيسى عليه السلام إذ الظاهر أنها عائدة عليه ، وقال ابن عباس ومجاهد وقاتادة والحسن والسدى والضحاك وابن زيد : أى وإن خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها إذ خروجه شرط من أشراطها ، وهو نزوله من السماء فى آخر الزمان أهـ ، وعلى هذا درج الزمخشري فى الكشف ، والإمام الرازى فى التفسير الكبير ، ومحيى السنة البغوى فى تفسيره ، والخازن ، والجلال المحلى ، وغيرهم . وقال الحافظ ابن كثير ما نصه : قوله سبحانه وتعالى «وإنه لعلم للساعة» تقدم تفسير ابن إسحق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام ، وفى هذا نظر وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصرى وسعيد بن جبير أن الضمير فى وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام

فإن السياق فى ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أى قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى «وإنه لعلم» أى أمانة ودليل على وقوع الساعة . قال مجاهد : وإنه لعلم للساعة خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة، وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس وأبى العالية وأبى مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر بنزول عيسى قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً أهـ ، وقال العلامة الآلوسى فى روح المعانى : وإنه - أى عيسى - لعلم للساعة. أى أنه بنزوله شرط من أشراتها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة الواقعة فى الساعة، والحصر إضافى باعتبار أنه أعظم العلامات، ثم قال : وقد نطقت الأخبار بنزوله عليه السلام وذكر شيئاً منها فأشار بذلك إلى تعيين الاحتمال الأول الذى بدأ به ، والواقع أن الآية الكريمة نص فيه وتلك الاحتمالات - وإن كانت جائزة بحسب الأصل - فلا أثر لها هنا أصلاً ، إذ ليس كل احتمال يؤثر فى نصومية اللفظ كما نهنا عليه قريباً ، وقد اختار الإمام الرازى فى المحصول أن الدليل اللفظى يفيد اليقين إذا انضمت إليه قرينة من مشاهدة أو تواتر . قال التاج السبكى : وهذا هو الحق، وصححه محققو الأصوليين أيضاً. وأنت إذا رأيت الأحاديث المتواترة الناطقة بأن نزول عيسى من أشرط الساعة علمت علم اليقين أن هذا المعنى هو المراد من قوله تعالى : «وإنه لعلم للساعة» لا سيما وقد عينه فى هذه الآية بخصوصها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأى أثر لاحتمال مظنون مع وجود هذا الدليل القاطع؟ وقد بلغنى أن أزهرياً احتج على صاحب الفتيا الذى نرد عليه . بهذه الآية وقال : إنها

نص فى الموضوع ، فمنع ذلك بعض الحاضرين ممن له منصب كبير فى الأزهر ، وأسند منعه بأنه على فرض عود الضمير إلى عيسى يبقى الاحتمال فيه هل ذلك من حيث نزوله؟ أو من حيث ولادته بغير أب؟ أو من حيث إحيائه الموتى؟ فانقطع ذلك الأزهرى ولم يحر جواباً ، وهذه غفلة شديدة من المستدل والمانع ، منشأها عدم إحكام قواعد الأصول ، والبعد عن علم الحديث الشريف الذى لا غنى للعالم عنه ، بل لا يستحق الشخص أن يسمى عالماً بدونه ، وليت شعرى إذا كان كل احتمال يمنع نصوصية اللفظ كما يتوهمون ، فكيف أجمع علماء الإسلام على القطع بالوجوب فى نحو قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ . ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ مع أن هذه الأوامر تحتل غير الوجوب فى حد ذاتها وإنما استفيد القطع بالوجوب فيها من قرائن خارجة عنها ، فلتكن الآيات الدالة على نزول عيسى فى القطع بمضمونها كذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

فى ذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين من الآثار الدالة على نزول عيسى عليه السلام . جاء عن أبى هريرة وابن عباس آثار كثيرة تقدم بعضها ويأتى ، وتركنا باقية اختصاراً ، وأخرج ابن أبى شيبه عن عبد الله بن عمرو قال : ينزل عيسى بن مريم فإذا رآه الدجال ذاب كما تذوب الشحمة ، فيقتل الدجال ، ويفرق عنه اليهود فيقتلون حتى أن الحجر ليقول : يا عبد الله - للمسلم - هذا يهودى فتعال فاقتله ، وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : إن المسيح - ابن مريم خارج قبل يوم القيامة ، وأخرج الحاكم وصححه عن أبى الطفيل - وهو صحابى - قال : كنت بالكوفة فقيل : قد خرج الدجال ، فأتينا حذيفة بن أسيد

فقلت: هذا الدجال قد خرج فقال: اجلس فجلست، فنودي: أنها كذبة صباغ ، فقال حذيفة: إن الدجال لو خرج زمانكم لرمته الصبيان بالخزف ، ولكنه يخرج فى نقص من الناس، وخفة من الدين ، وسوء ذات بين ، فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طى فروة الكباش ، حتى يأتى المدينة. فيغلب على خارجها . ويمنع داخلها. ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذى عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه، حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم. فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا . فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم ، فيقتل الدجال ويهزم أصحابه، وروى الترمذى من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد ابن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعيسى بن مريم عليهما السلام يدفن معه قال أبو مودود: وقد بقى من البيت موضع قبر، قال الترمذى: حديث حسن غريب، ورواه الطبرانى من هذا الطريق أيضاً بلفظ: يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه، فيكون قبره رابعاً. قال الحافظ الهيثمى: فيه عثمان بن الضحاك، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو داود، وقد ذكر المزي هذا فى ترجمته وعزاه إلى الترمذى ، وقال حسن: ولم أجده فى الأطراف أ هـ. قلت: هو موجود فى سنن الترمذى فى أوائل أبواب المناقب ، وفى أبواب فضل النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وعثمان بن الضحاك الذى ضعفه أبو داود هو الحزامى ، وهو غير عثمان بن الضحاك المذكور فى هذا السند كما يعلم من تهذيب التهذيب، وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر عن شهر بن حوشب عن محمد بن على - هو ابن الحنفية - فى قوله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» . قال: ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره، ثم يقال له: يا عدو الله. إن عيسى روح الله وكلمته. كذبت على الله

وزعمت أنه الله . إن عيسى لم يميت ، وأنه رفع إلى السماء ، وهو نازل قبل أن تقوم الساعة . فلا يبقى يهودى ، ولا نصرانى إلا آمن به . وأخرج ابن المنذر عن شهر بن حوشب قال : قال لى الحجاج : يا شهر آية من كتاب الله ما قرأتها إلا اعترض فى نفسى منها شيء ، قال الله : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » وإنى أوتى بالأسارى فأضرب أعناقهم ولا أسمعهم يقولون شيئاً . فقلت : رفعت إليك على غير وجهها إن النصرانى إذا خرجت روحه ضربته الملائكة من قبله ومن دبره ، وقالوا : أى خبيث إن المسيح الذى زعمت أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة : عبد الله وروحه وكلمته ، فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان ، وإن اليهودى إذا خرجت نفسه ضربته الملائكة من قبله ومن دبره ، وقالوا : أى خبيث إن المسيح الذى زعمت أنك قتلت عبد الله وروحه فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان . فإذا كان عند نزول عيسى آمنت به أحيائهم كما آمنت به موتاهم . فقال : من أين أخذتها ؟ فقلت : من محمد بن على . قال : لقد أخذتها من معدنها . قال شهر : وأيم الله ما حدثنيه إلا أم سلمة ، ولكنى أحببت أن أغيظه أهـ . أى بذكر على ، لأن الحجاج كان يسغض علياً وأولاده رضى الله عنهم بغضاً شديداً . وأخرج نعيم فى كتاب الفتن عن كعب الحبر التابعى الثقة باتفاق أهل الشأن . قال : يحاصر الدجال المؤمنين ببيت المقدس فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع . فبينما هو على ذلك إذ سمعوا صوتاً فى الغلس ، فيقولون : إن هذا لصوت رجل شبعان ، فينظرون فإذا بعيسى ابن مريم ، وتقام الصلاة فيرجع إمام المسلمين المهدي فيقول عيسى : تقدم فلك أقيمت الصلاة ، فيصلى بهم تلك الليلة ، ثم يكون عيسى إماماً بعده ، وقال ابن أبى شيبة فى المصنف : ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابن سيرين قال المهدي من هذه الأمة وهو الذى يؤم عيسى بن مريم عليه السلام .

فصل

فى ذكر نصوص فقهاء الأمة وعلماء الإسلام المصرحة بنزول عيسى عليه السلام. جاء فى الموطأ ما نصه: ما جاء فى صفة عيسى بن مريم والدجال: مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيتنى الليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجالة له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجليها فهى تقطر ماء متكئاً على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالكعبة فسألت: من هذا؟ قيل: هذا المسيح بن مريم، ثم إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية، فسألت: من هذا؟ فقيل لى: هذا المسيح الدجال. قال الإمام الفقيه الحافظ أبو الوليد الباجى فى المنتقى أثناء كلامه على هذا الحديث ما نصه: وفى العتبية عن مالك قال: بينما الناس قيام يستمعون لإقامة الصلاة فتغشاهم غمامة فإذا عيسى ابن مريم قد نزل أهد ونقله العلامة الألبى أيضاً فى شرح مسلم، وقال الإمام الفقيه الحافظ أبو جعفر الطحاوى فى كتابه اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد بن الحسن ما نصه: ونؤمن بخروج الدجال الأعور اللعين ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء أهد. **قال الأستاذ الكوثرى:** وقد تلقى الطحاوى علوم هؤلاء فى الاعتقاد والعمل عن سليمان بن شعيب الكيسانى وبكار ابن قتيبة وابن أبى عمران وأبى خازم فالأول عن أبيه عن محمد عن أبى يوسف وأبى حنيفة، والثانى عن هلال بن يحيى عن زفر وأبى يوسف عن أبى حنيفة، والثالث عن ابن سماعة وبشر بن الوليد فالأول عن محمد وأبى يوسف، والثانى عن أبى يوسف والرابع عن عيسى بن أبان عن محمد أهد. وروى

ابن أبى يعلى فى الطبقات والخلال وابن الجوزى فى المناقب عن عبدوس بن مالك أبى محمد العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاعتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهى ضلالة، وترك المراء والجدال، والخصومات فى الدين، والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والسنة تفسر القرآن - وهى دلائل القرآن - وليس فى السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول، ولا الأهواء، وإنما هو الاتباع، وترك الهوى، ومن السنة اللازمة التى من ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، ولا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق - يعنى حديث ابن مسعود - ومثل ما كان مثله فى القضاء والقدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد فيها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، والقرآن كلام الله، وليس بمخلوق، والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث الصحاح، وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحيح^(١) رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه على

(١) هذا أحمد يحتج فى العقائد بحديث الآحاد وسيأتى مثل ذلك فى كلام الأشعرى منقولاً عن أهل الحديث فتنبه!

ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، والحديث عندنا على ظاهره
كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكلام فيه بدعة . ولكن
نؤمن به على ظاهره ، ولا نناظر فيه أحدًا ، والإيمان بالميزان يوم القيامة كما
جاء : يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة ، وتوزن أعمال العباد
كما جاء فى الأثر ، والتصديق به ، والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته ،
وذكر الإيمان بالحوض والشفاعة وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير . ثم قال ما
نصه : والإيمان بأن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر ، والأحاديث
التي جاءت فيه ، والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى بن مريم عليه السلام
ينزل فيقتله بباب لد . هذا كلام الإمام أحمد رضى الله عنه ، وقال أيضا فى
الرسالة التي كتبها إلى مسدد فى بيان سنة النى صلى الله عليه وآله وسلم ما
نصه : والدجال خارج فى هذه الأمة لا محالة وينزل عيسى بن مريم إلى
الأرض فيقتله بباب لد أه . وانظر بقيتها فى مناقب أحمد لابن الجوزى ،
وقال إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري فى كتابه مقالات الإسلاميين
واختلاف المصلين ما نص المراد منه : جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة :
الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردون من ذلك شيئا . وأن الله
تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وأن محمدا عبده
ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن
الله يبعث من فى القبور ، ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وأنها لأهل الكبائر من أمته ، ويعذاب القبر ، وأن الحوض حق ،
والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله لعباده حق ،
والوقوف بين يدى الله تعالى حق ، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من

الموحدين من النار ، على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينكرون الجدال والمراء في الدين ، والخصومة في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم ، بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتي ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يقولون كيف؟ ولا . لم؟ لأن ذلك بدعة ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ويرون أن اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن الله به ، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال ، وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، ويدينون بعبادة الله في العابدين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر ، ويرون مجانبة كل داع إلي بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ، مع التواضع والاستكانة ، وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة ، والسعاية ، وتفقد المآكل والمشارب ، فهذه جملة ما يأمر به ويستعملونه

ويروونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب . انتهى ما أردنا نقله من كلام الأشعرى بلفظه ، وقد نقله بتمامه ابن القيم فى أول كتابه «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح» مستشهداً به لما ذكره من إجماع أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان اليوم ، وقال عقبه ما نصه : وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة م يستحق البشارة المذكورة - يعنى البشارة بالجنة ورضوان الله - وأن أهل هذه المقالة - يعنى العقيدة - هم أهلها أ هـ . وقال الحافظ أبو الحسين الأبرى فى مناقب الشافعى فى الكلام على إبطال حديث لا مهدي إلا عيسى بن مريم ، وإثبات أن المهدي غير عيسى ما نصه : وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فى المهدي أنه من أهل بيته ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى خلفه فى طول من قصته وأمره أ هـ نقله الإمام القرطبى فى التذكرة ، والحافظ ابن حجر فى الفتح ، وسلماء ولما ذكر الإمام الحافظ ابن حزم فى مسائل التوحيد من كتاب «المحلى» أن شريعة الإسلام ناسخة لسائر الشرائع وأن نبينا خاتم النبيين - لا نبى بعده - قال ما نصه : مسألة إلا أن عيسى بن مريم سينزل واستدل بحديث جابر أسنده من طريق مسلم ، وقال فى كتاب الأطعمة من المحلى أيضاً فى الكلام على حرمة الخنزير وجواز قتله - بعد أن ذكر حديثى أبى هريرة وجابر فى نزول عيسى - ما نصه : فصح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صوب قتل عيسى عليه السلام للخنازير وأخبر أنه بحكم الإسلام ينزل وبه ويحكم أ هـ . وقال القاضى عياض فى شرح مسلم ما نصه : نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق ، وصحيح عند أهل السنة . للأحاديث الصحيحة فى ذلك ، وليس فى العقل ولا فى الشرع

ما يطله، فوجب إثباته ، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى : «وخاتم النبيين» وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا نبي بعدى» ، وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة . لا تنسخ ، وهذا اتسداد فاسد ، لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا ، ولا فى هذه الأحاديث ولا فى غيرها شيد من هذا ، بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق فى كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حكماً مقسطاً بحكم شرعنا ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس أهد نقله الإمام النووى فى شرح مسلم ووافقه عليه ، وقد ورد عن المغيرة ابن شعبة فى الجمع بين أحاديث النزول وآية خاتم النبيين غير ما سلكه هؤلاء المبتدعة . فروى الطبرانى من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : قال رجل عند المغيرة بن شعبة : صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده . فقال المغيرة : حسبك أن تقول خاتم الأنبياء ، فإننا كنا نحدث أن عيسى بن مريم خارج ، فإن كان خارجاً فقد كان قبله وبعده وهذا الأثر ضعيف الإسناد لا يصح ، وقد كان المغيرة ذكياً بالغاً حد الدهاء فلا يخفى عليه أن نزول عيسى تابعاً لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وعاملاً بشريعته لا ينافى حديث لا نبي بعدى كما مر فى كلام عياض أنفأ والقاديانية ينسبون الأثر المذكور إلى عائشة كذباً عليها ، ويحذفون منه خروج عيسى عليه السلام ليتسنى لهم أن يقولوا : إن قوله تعالى : وخاتم النبيين - بفتح التاء - لا يدل على انقطاع النبوة ناسين قراءة خاتم - بكسر التاء - وهى تعين الآخرة كما لا يخفى .

وقال الشهرستانى فى الملل والنحل فى الكلام على اختلاف النصارى فى عيسى عليه السلام ما نصه : ولهم فى النزول خلاف . فمنهم من يقول :

ينزل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام أ هـ . وقال الإمام القرطبي فى شرح مسلم -- وهو شيخ القرطبي صاحب التفسير والتذكرة - فى الكلام على حديث جبريل الطويل عند قوله فأخبرنى عن أماراتها ما نصه : وهى - أى أمارات الساعة - تنقسم إلى معتاد كالمذكورات وكرفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر ، وغير معتاد كالذجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها أ هـ . نقله العلامة الأبي . وقال عقبه ما نصه : قال ابن رشد - يعنى الجد - واتفقوا على أنه لابد من ظهور هذه الخمسة - يعنى الذجال وما بعده - واختلفوا فى خمسة أخرى : خسف بالشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، والدخان ونار تخرج من قعر عدن تروح معهم حيث راحوا ، وتقبل معهم حيث قالوا زاد بعضهم وفتح قسطنطينية ، وظهور المهدي أ هـ . ونقل الأبي أيضاً فى شرح مسلم عن ابن رشد ما نصه : وفى العتية كان أبو هريرة يلتقى الفتى الشاب فيقول يا ابن أخى : إنك عسى أن تلقى عيسى بن مريم فأقرأه منى السلام تحقيقاً لنزوله فما ذكر ابن حزم من الخلاف فى نزوله لا يصح ، وذكر الباجى حديثاً ضعيف السند أنه ينزل فى عشرة السبعين وتسعمائة ثم قال الأبي : ابن العربى ، ويروى أنه يتزوج امرأة من بنى ضبة اسمها : راضية ، ثم يموت ويصلنى المسلمون عليه ، ويدفن فى روضة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها موضع قبر يقال : إنما بقى له ، وذكر ابن العربى الحاقى المتأخر أن هذه المرأة ولدت فى عشرة السبعين ، وولادة المرأة كذبها الوجود المحقق : أن نزوله من الأشراف ، وصح أنه الذى يقتل الذجال ويدعائه يهلك يأجوج ومأجوج . **فإن قلت :** بم يعرف الناس أنه عيسى ؟ قلت : بصفاته التى تضمنتها الأحاديث - أى من كونه ينزل من السماء عليه محصرتان واضعاً يديه

على أجنحة ملكين الخ ما تقدم - ويصح أن يعرف بأن يتحدى على ذلك لا بإحياء الموتى وإبراء الأكف والأبرص ، لأن تلك آيات إرساله ، وهو لا ينزل رسولا لأهل الأرض ، ابن العربى : يروى أنه صلى وراء إمام المسلمين إبقاءاً لشريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واتباعاً له ، وإخزاءً للنصارى ، وإقامة للحجة عليهم أ هـ ما أردنا نقله من شرح الإمام الأبى .

وقال الإمام ابن عطية فى تفسيره ما نصه : وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى فى السماء حى ، وأنه ينزل فى آخر الزمان ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويقتل الدجال ، ويفيض العدل ، وتظهر به ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويحج البيت ويعتمر أ هـ نقله العلامة أبو حيان فى البحر المحيط ، وقال الحافظ أبو الفتح العمرى المعروف بابن سيد الناس فى عيون الأثر فى الكلام على خبر إسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه - بعد أن ذكر أن سلمان اجتمع فى الشام برجل يجتاز من غيضة إلى غيضة ، مرة فى السنة ، يعترضه فى تلك المرة ذوو الأسقام ليدعوا لهم فيشفون ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسلمان عن هذا الرجل : إنه عيسى ابن مريم - ما نصه : قال السهلى وإن صح الحديث فلا نكارة فى متنه ، فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه السلام نزل بعدما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب تبكيان ، فكلهما وأخبرهما أنه لم يقتل ، وأن الله رفعه وأرسله إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد . وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مراراً ولكن لا يعلم به أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح أ هـ . وقال الحافظ السيوطى فى علم العقائد من كتاب النقاية ما نصه : ونعتقد أن نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال حق أ هـ .

ثم استدل في شرحه إتمام الدراية ببعض الأحاديث الواردة في ذلك ، وقال
العلامة السفاريني الحنبلي في منظومته الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية :
وما أتى في النص من أشراط فكله حق بلا شطاط
منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح
وقال في شرحها المسمى لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ما
نصه : قد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ،
وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه وقد انعقد إجماع الأمة
على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وليس ينزل بشرعية مستقلة عند
نزوله من السماء ، وإن كانت نبوته قائمة به ، وهو متصف بها أ هـ . وقال
الشوكانى فى كتاب التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجال والمسيح :
إن الأحاديث فى نزوله عليه السلام كثيرة . منها تسعة وعشرون حديثاً ما بين
صحيح وحسن وضعيف منجبر ، ومنها ما هو مذكور فى أحاديث الدجال ،
ومنها ما هو مذكور فى أحاديث المنتظر ، وتنضم إلى ذلك أيضاً الآثار الواردة
عن الصحابة ، فلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فى ذلك أ هـ ، ثم
ذكرها كلها ، وقال ما نصه : وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى
على من له فضل اطلاع أ هـ . ونحوه فى الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي
الساعة للكنوجى ، وقال أستاذنا العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتانى
رحمه الله فى كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر ما نصه : وقد ذكروا أن
نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، والأحاديث فى نزوله كثيرة أ هـ . ثم
ذكر كلام ابن رشد والشوكانى وغيرهما فى التصريح بالتواتر ، ومن نص علي
نزول عيسى عليه السلام من العلماء : الحافظ عبد الغنى المقدسى فى كتاب
أشراط الساعة ، والحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق ، والحافظ بن كثير فى

تاريخه، والتقى السبكي فى كتاب التعظيم والمنة ، والدميرى فى حياة الحيوان، وابن حجر الهيتمى فى فتاويه الحديثية والفقهية، والبرزنجى فى الإشاعة لأشراط الساعة ، وابن الحاج فى حاشية المرشد المعين، ناقلًا فيه الاتفاق ، والكشميرى فى إكفار الملحدين، والعلامة عبد الحى اللكنوى فى مقدمة الفوائد البهية ، وهو مجمع عليه كما تقدم فى كلام غير واحد . والخلاف الذى أشار إليه ابن حزم فى مرتب الإجماع ، إنما هو خلاف بعض المعتزلة والجهمية كما يستفاد من كلام عياض السابق، وهو خلاف ساقط، ولأنه حدث بعد انعقاد إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم وأهل السنة والحديث ، فلهذا لم يعتد العلماء به وحكوا الإجماع ، وقال ابن رشد فيما نقلناه عنه : إن الخلاف الذى ذكره ابن حزم لا يصح - أى لا يعتبر به ولا يؤبه له - فلا راحة لصاحب الفتوى فى هذا الخلاف ولا عذر له فى اتباعه ، وهو ملزم - إن أخذ به والتزمه - أن يكشف للناس عن دخيلة أمره ، ويبين لهم أنه جهمى حتى يعلم المسلمون أنه من أتباع جهم بن صفوان الضال المتبدع الذى يقول عنه الذهبي : ما علمته روى شيئًا لكنه زرع شرًا عظيمًا أه . فنهنيًا لمن يكون من أتباع هذا الإمام .

فصل

واعلم أن من أنكر نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة فهو كافر كما فى كتاب الإعلام بحكم عيسى عليه السلام للحافظ السيوطى لأنه أنكر ما تواتر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنكر المتواتر كافر كما صرح به ابن دقيق العيد وابن حجر الهيتمى وأبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج وغيرهم بل هو مقرر فى كتب الأصول، وبهذا فارق المتواتر خبر الآحاد ،

وقد ورد فى المسئلة حديث مرفوع أحببنا أن نوره لننبه عليه أخرج الكلاباذى فى معانى الأخبار عن محمد بن الحسن ابن على عن محمد بن على بن الحسن عن الحسين بن محمد بن أحمد عن إسماعيل بن أبى أويس عن مالك عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعاً: من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد، ومن أنكر نزول عيسى فقد كفر بما أنزل على محمد، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر بما أنزل على محمد، فإن جبريل أخبرني أن الله قال: «من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليخذ رباً غيرى». محمد بن الحسن بن على قال الحافظ: أظنه ابن راشد الأنصارى، قال: وشيخه ما عرفته بعد البحث عنه أه قلت: وابن راشد ذكره الذهبى وقال: روى عن وراق الحميدى فذكر خبراً موضوعاً فى الدعاء عند الملتزم هذا كلام الذهبى، والحديث الذى ذكرناه باطل من حديث مالك، وليس له إسناد يثبت لا من حديث مالك ولا من حديث غيره^(١)، وآفته ابن راشد أو شيخه، وفيما تقرر فى كتب الأصول كفاية عنه وغناء والله أعلم. فإن قيل قد أنكر المعتزلة بعض السمعيات المتواترة، ومع ذلك فالراجح عند أهل السنة عدم إكفارهم. فكيف يصح إكفار منكر نزول عيسى عليه السلام؟ **فالجواب**: أن إنكار المتواتر كفر كما هو مقرر فى الأصول غير أن ابن تيمية قيد ذلك فى بعض رسائله بأن يكون الإنكار بعد العلم بالتواتر لقيام الحجة حينئذ، وقال ابن الحاج فى حاشية المرشد المعين: إن المتواتر غير المعلوم من الدين بالضرورة لا يكفر منكروه إلا بعناد بعد التعليم أه، والمعتزلة الذين أنكروا تلك المتواترات لم يكونوا يعرفون تواترها لأنهم جاهلون بالحديث الشريف، ما رواوا منه

(١) وهو حديث موضوع.

شيئاً ولا عرفوه ، فكان جهلهم عذراً حائلاً دون إكفارهم ، على أن أهل السنة اتفقوا على تضليلهم ، لإقدامهم على مخالفة الله ورسوله بشبه فاسدة باطلة اعتقدوها أصولاً صحيحة ثابتة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب فى مناقشة أفاظ الفتوى

وهى منشورة فى مجلة الرسالة ، ويلاحظ أولاً أن السؤال المنشور فى صدر الفتوى سأل صاحبه عن نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة فى عيسى عليه السلام هل هو حى؟ أو ميت؟... إلخ ، والسائل - رغم كونه قاديانياً لا يؤمن بالسنة - طلبها فى سؤاله سترًا لموقفه وإتماماً لحيلته . لكن صاحب الفتوى لم يحسب للسنة النبوية حساباً ، ولم يتعرض لها فى فتواه إلا راداً ومنكراً ، وقصر كلامه فى عيسى عليه السلام على ثلاث آيات من القرآن فى ثلاث سور منه بانياً على ذلك ما اشتهاه من إنكار نزول عيسى وحياته ورفع ، فأخطأ من عدة وجوه (أحدها) أنه لم يوف السؤال حقه ، وذلك بعدم تعرضه للسنة . (ثانيها) أنه ترك آيات من القرآن تعرضت لحياة عيسى ونزوله وغض نظره عنها لأنها تخالف شهوته . (ثالثها) أنه أقدم على تفسير ما أورده من الآيات من غير أن يكون عنده علم بما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها مما يخالف ما قال . مع أنه لا خلاف بين العلماء أن أول ما يجب على المتكلم فى تفسير القرآن أن ينظر هل ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو عن أصحابه شيء؟ فإن ورد لم يعدل عنه إلى غيره ، لأنه عليه الصلاة والسلام مبلغ عن الله ، ومبين لمراه ، وأصحابه شاهدوا التنزيل وعرفوا أسبابه وعلموا معانيه بالقرائن والمشاهدة ، وصاحب الفتوى - وإن لم يكن من أهل الحديث - ففرض عليه أن يرجع إلى كتب أهل الفن : كتفسير

ابن جرير ، وابن كثير ، والقرطبي ، وكالصحيحين ، وشروحهما فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . (رابعها) أنه تجرأ جرأة عظيمة حيث أعرض عن السنة النبوية إعراضاً تاماً ولم يذكرها إلا عند ذكر الطرف المقابل الذى لم يرتض هو قوله ، وهذا مسلك لا يشرف المسلم ، لأنه مخالفة صريحة لما اتفقت عليه أدلة النقل والعقل ، من وجوب طاعة رسول الله ، واتباع كلامه ، لأن الله فرض ذلك ، وجعل رسوله حجة على عباده ، والآيات كثيرة فى إيجاب طاعة الرسول ، والإخبار بأن طاعته طاعة لله من غير قيد ولا شرط ، وقد روى أبو داود والبيهقى وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب قال : حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلى وغيره ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : «يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلال استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمانه وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله» إسناده صحيح ، وروى أبو داود وغيره من حديث أبى رافع نحوه . قال البيهقى : وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه ، فوجد تصديقه فيما بعده ، وروى أبو يعلى وغيره عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «عسى أن يكذبنى رجل منكم وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال رسول الله هذا ، دع هذا وهات ما فى القرآن» وكأن هذا الحديث ما ورد إلا ليخبر عن هذه الفتوى الخاطئة التى تمسك صاحبها بالقرآن فى زعمه ، وعطف على السنة بالرد والإبطال ، سالكا فى ذلك سبيل الحيل من دعوى الأحادية والاضطراب والتعارض ، . . . إلخ والله يعلم ما يخفى وراء ذلك ومحاسبه عليه ، وقد قال مكحول والأوزاعى

وغيرهما: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ، وقال يحيى بن أبي كثير : السنة قاضية على الكتاب ، وليس الكتاب قاضياً على السنة . قال ابن عبد البر: إنها تقضى عليه وتبين المراد منه أ هـ . ولهذا كان عمر رضى الله عنه يقول: خذوا أهل الأهواء بالسنن فإن القرآن ذو وجوه والآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم أكثر من أن تحصى ، ومن أراد أن يلم بشيء منها فليقرأ كتاب الرسالة للإمام الشافعى وجامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر ، ومفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للحافظ السيوطى ، وقد لخص فيه كلام من سبقه فأفاد وأجاد . وإنما ذكرنا هذه النصوص مع كون معناها بدهياً لكل مسلم لأننا رأينا صاحب الفتوى لا يبالى بالحديث فى كتبه ومقالاته فلا يستدل فيها إلا بالقرآن فقط حاملاً لآياته على الغرض الذى يشتهي محملاً لها إياه إن لم تحتمله - أما السنة النبوية فلا يعرض لها إلا راداً بالتضعيف ، أو منكرًا بالتأويل أما أن يستدل بها بالقرآن فشيء لم نره فى كتبه ، ولا خطر على باله . فيما أحسب . اللهم إلا أن يكون الحديث فى شيء من الأخلاق والآداب وما إليها فيذكره حينئذ ، ولا يبالى أضعيف هو أم موضوع . كأن الله وكل إليه أن يفسر القرآن بما شاء حين يشاء ، وأباح له أن يستدل بالسنة متى شاء فى المعنى الذى يشاء ، وبعد هذا ننتقل إلى الفتوى فنجد صاحبها يدعى أن القرآن الكريم عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور أ هـ . ونهاية شأن عيسى مع قومه هى التكاة التى بنى عليها صاحب الفتوى ما أراده ، فهو يريد بها أن عيسى عليه السلام له مع قومه بدء ونهاية كسائر الرسل ، وقد عرض الله لنهايته مع قومه ، كما عرض لنهاية الرسل مع أقوامهم ، وإذا فلا حياة له ولا رفع ولا نزول هذا مرمى كلامه كشفنا عنه وأوضحناه ، لكن فاته أن الذى أنزل عليه

القرآن هو الذى أخبر بالحياة والرفع والنزول ، كما أخبر بها منزل القرآن أيضاً، وفاته أن نهاية شأن عيسى مع قومه لا تحظر على الله أن يفعل ما هو جائز عليه من رفع عيسى حياً وإنزاله فى آخر الزمان ، كما لم يحظر اعتياد ولادة الطفل من أبوين أن يخلق الله عيسى من غير أب ، وربك على كل شىء قدير ، وقد قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۖ ﴾ . فالتشبه بالسنن الكونية والحكم بها على خالقها قصور فى العقل ، ونقص فى الإدراك ، وضلال فى حكم الشرع . ثم ذكر صاحب الفتوى قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ ﴾ وادعى أن كلمة توفى وردت فى القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر أ هـ . ونهاية ما ادعاه - بعد تسليمه - يقتضى أن يكون التوفى ظاهراً فى الموت وما تقرر فى الأصول وصار معروفاً لصغار الطلبة بله كبارهم أن اللفظ يصرف عن ظاهره لدليل . فالتوفى يجب صرفه عن الموت للنصوص الصريحة الدالة على حياة عيسى ونزوله ، وبهذا يحصل الجمع بين الأدلة ، ثم ذكر الآيات التى استعمل فيها التوفى بمعنى الموت حتى صار هو المعنى الغالب المتبادر فذكر قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ۖ ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ۖ ﴾ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ۖ ﴾ ﴿ تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا ۖ ﴾ ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى ۖ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ۖ ﴾ ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۖ ﴾ أ هـ وأقول غفل عن أن هذه الآيات التى أوردها قد ذكر بجانبها ما يصرفها إلى الموت ، ولولا ذلك لصرفت إلى معنى آخر من معانى التوفى المتواطئة فالآية الأولى ذكر فيها ملك

الموت صريحاً ، والآية الثانية والثالثة ذكر فيهما الملائكة الذين يحضرون الميت لتبشيره أو تخويفه ، ويسمون أعوان ملك الموت ، والآية الرابعة حذف صاحب الفتوى أولها لحاجة في نفسه ، ونحن نذكرها قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ فقد ذكر فيها الموت صريحاً أيضاً كآية السادسة ، والآية الخامسة حذف منها أيضاً قرينة الموت وأصلها هكذا ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شِيوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتُوفَىٰ مِن قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فذكر التوفى من قبل بلوغ الأشد والشيخوخة ، قرينة ظاهرة على أن المراد به الموت ، والآية السابعة قرينتها أنها دعاء ، لأن من المعلوم لكل واحد أن الإنسان يدعو أن يموت علي الإسلام ، إذ العبرة بالخاتمة كما جاء في الحديث الصحيح : «إنما الأعمال بالخواتيم» وهكذا لا تجد في القرآن آية ذكر فيها التوفى مراداً به الموت إلا وتجد فيها قرينة تدل على ذلك .

وتحقيق المسئلة علي وجه الإيجاز : أن مادة التوفى موضوعه في اللغة معنى واحد : هو قبض الشيء واستيفاءه ، وهذا المعنى قدر مشترك بين قبض الروح بالنوم ، أو الموت ، وقبض الدين ، وقبض الأجر على عمل ما ، وغير ذلك من المعانى التى يطلق عليها لفظ التوفى ، فهو من قبيل المشترك المعنوى ، والقاعدة فيه : أنه إذا أريد فرد معين من أفراد قيد اللفظ بما يدل على ذلك الفرد ، وعلى هذا الأسلوب جاء القرآن الكريم فإنه تارة أراد بالتوفى خصوص الموت فقيد اللفظ بالقرينة الدالة عليه كآيات السابقة ، وتارة أراد خصوص النوم فقيده أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ ، الآية ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ الآية ، وتارة أراد الأجر والجزاء كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى

كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ ، فإذا جاء اللفظ مجرداً عن القرينة لم يجز أن يدعى أن هذا المعنى أظهر فيه من ذاك بل يحمل على أصل المعنى الذى هو القدر المشترك ويترك ما عداه إلى أن يقوم على تعيينه دليل ، وبهذا البيان الوجيز ينهار ما ادعاه صاحب الفتوى فى آيتى آل عمران والمائدة ويتضح أنه غلط ليس له من التحقيق العلمى نصيب ، والعجب العجاب فى شأن هذا المفتى أن نجده يظهر بمظهر الحريص على التمسك بظاهر القرآن حيث يقول : ومن حق كلمة توفيتنى فى الآية أن تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الإمامة العادية التى يعرفها الناس ويدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد أ هـ ، ثم نجده فى كلمة له فى الشيطان يقول : إنه قوة الشر الكامنة فى النفس - أي أنه عرض - مخالفاً صريح القرآن والسنة فى أن الشيطان كائن حى يتكلم ويوسوس ويغىء ويذهب إلى آخر أوصاف الأجسام الحية!!! فالذى يتمسك بظاهر القرآن فى وفاة عيسى كيف يتأتى منه أن ينكر صريح القرآن والسنة فى جسمية الشيطان!!! ما هذا إلا تناقض قبيح ، وتلاعب بالنصوص ، منشأ الهوى والغرض ، ثم ادعاؤه أن الإمامة العادية يدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد ، فيه تعريض بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين الذين حملوا التوفى على قبض البدن حياً جمعاً بين الأدلة ، كما هو الواجب فهؤلاء كلهم لم يكونوا ينطقون بالضاد ولم يكونوا يعرفون السياق حتى جاء هو بعد منتصف القرن الرابع عشر ، فنطق ما لم ينطقوه ، وعرف ما لم يعرفوه ، فسبحان الفتاح العليم!!! ثم ادعى أنه لا سبيل إلى القول بأن الوفاة مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء بناء على

زعم من يرى أنه حى فى السماء وأنه سينزل منها آخر الزمان أ هـ . **وأقول :**
هذا أحد الأدلة من كلامه على أنه لا يحترم السنة ولا يقيم لها وزناً ، وإن ادعى خلاف ذلك بلسانه . لأن الآلوسى نقل عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال : هذا من المقدم والمؤخر - أى رافعك إلى ومتوفيك - ثم قال الآلوسى : وهذا أحد تأويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية للمشهور المصرح به فى الآية الأخرى - يعنى بل رفعه الله إليه - وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» أ هـ . وصاحب الفتوى رأى هذا فى تفسير الآلوسى ، ومنه نقل قول قتادة بالمعنى ، فماذا فعل؟ عمد إلى آية سورة النساء الصريحة كما قال الآلوسى فأولها ، لتوافق ظاهر آية سورة آل عمران - مخالفاً ما أجمع عليه أهل الأصول أن الصريح لا يقبل التأويل وأن الظاهر هو الذى يؤول ليوافق الصريح - وسكت عن الحديث فلم يعره أذناً صاغية ، بل سماه فيما بعد قصصاً وروايات مضطربة لم يقم على الظن بها فضلاً عن اليقين برهان ، ولا شبه برهان ! فبرهن على أنه يحترم الحديث النبوى احتراماً يتلاقى من بعض الوجوه مع احترام القاديانية له أيضاً !! فليعذرنا القراء إذا اشتدنا عليه فى الكلام ، وتلوننا عليه بعض ما يعرفه قدر سنة نبينا عليه الصلاة والسلام ، ويعد هذا قد اتفق العلماء - إلا وهب بن منبه الكتابى ! وابن حزم الظاهرى^(١) - على أن قول الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَحْنُ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ مصروف عن الموت الحقيقى ، ثم اختلفوا فقيل : معنى متوفيك قابضك ، ومستوفى شخصك من الأرض ، وقيل : معناه منيمك ورافعك

(١) وقد قالوا بنزوله أيضاً ، وإنما خالفاً فى رفعه حياً .

نائماً رفقا بك ، وقيل: جاعلك كالمتوفى لأنه بالرفع يشبهه ، وقيل : آخذك وافيًا بروحك وبدنك ، فهو فى معنى رافعك ، والعطف حيثئذ للتفسير ، وقيل: ميت قواك الشهوانية العائقة عن إيصالك بالملكوت ، وقيل: غير ذلك مما حكاه الآلوسى ، ثم قال عقبه ما نصبه : والصحيح كما قاله القرطبى أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم ، وهو اختيار الطبرى ، والرواية الصحيحة عن ابن عباس ، وحكاية أن الله تعالى توفاه سبع ساعات . ذكر ابن إسحق أنها من زعم النصارى ، ولهم فى هذا المقام كلام تقشعر منه الجلود ، ويزعمون أنه فى الإنجيل ، وحاشا لله ما هو إلا افتراء وبهتان عظيم أ هـ . وهذا على القول بأن الآية لا تقديم فيها ولا تأخير . فإن قيل بذلك ، وهو قول قتادة كما تقدم ، فالتوفى معناه الموت ، ويكون ذلك بعد نزوله كما هو ظاهر ، وإنما صرف العلماء التوفى عن معنى الموت لوجود الأدلة الدالة على حياة عيسى عليه السلام ، وأنه رفع إلى السماء حياً . فمن الأدلة قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لليهود : «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» ، وقد ذكرناه من مرسل الحسن ، وهو مؤيد بأحاديث وآثار ، وقد ثبت فى الصحيح عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى فى ليلة عيسى بن مريم يطوف بالبيت ، وثبت فى حديث الإسراء أنهما اجتمعا فى بيت المقدس ، وفى السماء الثانية ، ولذا عده أهل الحديث صحابياً . قال الحافظ الذهبى فى التجرید: عيسى بن مريم نبى وصحابى ، فإنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو آخر الصحابة موتاً أ هـ . وكذا قال الحافظ العراقى فى نكته على ابن الصلاح ، والحافظ

ابن حجر فى الإصابة، والحافظ السيوطى فى التدريب وفى الإعلام بحكم عيسى عليه السلام، والصحابى عند المحدثين والأصوليين هو من رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو اجتمع به فى اليقظة لا فى المنام ، وفى الحياة لا بعد الممات ، وحيث إن عيسى صحابى فهو أفضل من الخلفاء الأربعة بلا شك، وقد ألغز فيه التاج ابن السبكى بقوله :

من باتفاق جميع الخلق أفضل من خير الصحاب أبى بكر ومن عمر؟
ومن على ومن عثمان وهو فتى من أمة المصطفى المختار من مضر؟
قال العلامة أبو عبد الله محمد الطالب ابن الحاج فى حاشية المرشد
وجوابه :

ذاك ابن مريم روح الله حيث رأى نبينا المصطفى فى أحسن الصور
فوق السموات ليلاً عندما اجتماعاً كذاك عند ظراب البيت والحجر
ومنها قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ، وهذه
الآية نص فى حياة عيسى ورفعته لأن الله تعالى نفى عنه القتل والصلب، ثم
عطف ببل مثبتاً له الرفع ، والمقرر فى كتب اللغة العربية التى نزل بها القرآن
العظيم أن بل إذا تلت نفياً أو نهياً كانت حرف إضراب واستدراك ، تقرر
حكم ما قبلها ، وثبت نقيضه لما بعدها وقد ذكر أهل المعانى العطف ببل وبلا
من طرق القصر، وقالوا : إنه أقوى طرقه للتصريح فيه بالنفى والإثبات .
فكلمة بل فى الآية لقصر القلب ترد على اليهود والنصارى ما اعتقدوه من
قتل عيسى ، وثبت نقيض ذلك، وهو حياته ورفعته ، هذا هو ما تفيدته الآية
صراحة بحسب قواعد اللغة وأسلوب البلاغة . وهو الذى يفهمه كل عربى

فصيح ، بذوقه السليم الصحيح ، أما حمل الآية على تقدير الإمامة العادية بأن يقال : بل أماته الله ورفعته إليه ، كما فعل صاحب الفتوى والقاديانية فمن سقط الكلام الذى يجب أن ينزه عنه القرآن العظيم ، لأن الإمامة العادية تتفق مع القتل فى الغاية ، وهى إزهاق الروح كما قال الشاعر :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

فلا تكون الإمامة نقيضاً للقتل إلا من حيث الصورة ، والقرآن أدق من أن يقصد الصور الظاهرية ، وأجل من أن يحمل عليها . هذا مع ما يلزم على ذلك التقدير من المفاصد «أحدها» التجرؤ على تأويل الآية رغم صراحتها . وهذا شئ لم نعهده من أحد من أهل الإسلام ، حتى جاء القاديانية ، فزلوا وضلوا ، حيث جعلوا عقيدتهم الفاسدة أصلاً يؤول ما خالفها نصاً كان أو ظاهراً . «وثانيها» تأويل الرفع وصرفه عن الحقيقة إلى المجاز من غير وجود قرينة تدل على ذلك . «ثالثها» عدم وجود فائدة لذكر الرفع لأنه إما أن يراد به رفع الروح أو رفع المكانة وكلاهما عديم الفائدة ، لأن كل ميت ترفع روحه إلى بارئها ، مقتولا كان أو غير مقتول ، والرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم مرفوعو الرتبة والمكانة عند الله ، فلا تظهر فائدة لتخصيص عيسى برفع روحه أو مكانته لا سيما وفى الرسل من هو أفضل منه ، ومن أودى أكثر من إذايته كإبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فإنهما أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأوديا من قومهما أبلغ إذايه ولم ينص على رفع روحهما أو مكانتهما ، وقد كانا أولى بالتنصيب على ذلك . «رابعها» أن الله تعالى اقتصر على ذكر الرفع وجعله مبطلا لما ادعاه اليهود من القتل والصلب ، ولو كان معناه ما ذكر لم يكن مبطلا لدعوى اليهود ، بل متفق معناها لأن رفع

مكانة الرسول أو رفع روحه بعد موته لا ينافى وقوع الإذابة له من قومه بقتل أو غيره، بل ذلك يزيد فى رفعتة عند الله ، ولذا تجد تواريخ الرسل حافلة بما لاقوه من أنواع الإذابات التى يشيب لها الوليد من قتل وغيره . وقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتد به إيذاء قومه يقول : «رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر» . «خامسها» أن رفع المكانة لا يستلزم الموت كما هو ظاهر، وكذلك رفع الروح ، لأن النائم ترفع روحه وتسبح فى عالم المثال، وحينئذ فقد كان يجب التصريح فى الآية بذكر الموت بأن يقال بل أماته الله ، ولا يقتصر على الرفع الذى لا يستلزمه ، ولا يدل عليه «سادسها» أن الله تعالى مدح نفسه بقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ولو كان فى الآية إماتة عادية كما يزعم صاحب الفتوى لم يكن للمدح معنى لأن ذلك أمر عادى مطرد فى جميع المخلوقات ، ولأننا ما رأينا الله تعالى مدح نفسه على إماتة نبى أو رسول، كيف والموت مصيبة بشهادة القرآن؟ قال تعالى : ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ وإنما رأيناه يمدح بإهلاك الظلمة الكفرة انتقاماً لأنبياؤه ورسله ، وما صح الامتداح بالإهلاك إلا لما انطوى عليه من الخوارق الدالة على كما قدرته وشدة انتقامه . «سابعها» أن حمل الرفع على رفع المكانة أو الروح مخالف لما أطبق عليه علماء التفسير من الصحابة وغيرهم فإنهم فسروه بالرفع الحقيقى الذى هو نقله الجسم من عالم الأرض إلى عالم السماء، وقالوا: إن عيسى أعطى استعداداً لذلك وقطعت عنه علائق الشهوة، وعوائق المادة ، وليس فى ذلك ما يحيله العقل، ولا ما يصادمه العلم، بل نجد فى تطورات هذا الزمن ومخترعاته ما يؤيد ذلك ويقربه إلى العقول المريضة المحصورة فى دائرة ضيقة من التفكير، فلا يتسع أفقها للتصديق بما غاب عنها، ولو قامت الدلائل العلمية على وقوعه ، وفى

مثل هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ وقد أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير والنسائي وابن أبي حاتم بإسناد صحيح على شرط مسلم عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين ، فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء ، فقال: إن منكم من يكفر بى إثني عشر مرة، بعد أن آمن بى ، ثم قال: أيكم يلقي عليه شبهى فيقتل مكانى فيكون معى فى درجتى ، فقام شاب من أحدثهم سناً . فقال له : اجلس ، ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال: اجلس ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب ، فقال : أنا . فقال: أنت هو ذاك ، فألقى عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى من روزنة فى البيت - يعنى كوة - إلى السماء ، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ، ثم صلبوه ، فكفر به بعضهم اثني عشر مرة، بعد أن آمن به ، واقتروا ثلاث فرق ، وذكر بقية الأثر . قال ابن كثير فى تاريخه: وهكذا قال غير واحد من السلف ، وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن كعب قال: لما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكاً ذلك إلى الله فأوحى الله إليه: «إنى متوفيك ورافعك إلى» ، وإنى سأبعثك على الأعور الدجال فتقتله ، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحى . قال كعب: وذلك تصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها». وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن فى قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ وَرَافِعُكَ إِلِىَّ﴾ . قال: رفعه الله إليه فهو عنده فى السماء ، وتقدم فى حديث أبى هريرة وحديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن عيسى ينزل

من السماء ، وتقدم فى حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بعيسى فى السماء وأخبر أنه نازل ليقتل الدجال ، وتقدمت آثار بهذا المعنى ، وتقدم قول ابن عطية: أجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى فى السماء حى . فهذا إجماع يضاف إلى ما سبق . فيكون رفع عيسى حياً ثابتاً بالكتاب والسنة والإجماع ، ووهب بن منبه قال: إن عيسى مات ثلاث ساعات ، رفع خلالها إلى السماء ، ثم رجعت إليه الحياة فلا يعد مخالفاً للإجماع ، وابن حزم قال بموت عيسى ورفعه وقرئاً مع لفظ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فلم يخالف فى الرفع ، وإنما خالف فى الحياة لجموده على ظاهر اللفظ كما هو شأن الظاهرية ، ولم نجد عن أحد غير هذين القول بموت عيسى أو عدم رفعه بسند صحيح يعتمد عليه ، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ معناه قابضك من الدنيا بيدك وروحك حياً كما تقدم عن ابن عباس وغيره ، وقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قرينة على ذلك إذ لم نجد فى القرآن موتاً ذكر بجانبه الرفع أصلاً ، لأن الميت يدفن فى الأرض ولا يرفع إلى السماء ، كما قال الله فى شأن الإنسان: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ، وكذلك قوله تعالى ، حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه فلما قبضتنى بالرفع إلى السماء كما قال أبو حيان وغيره من أئمة اللغة والتفسير ، وأما قوله تعالى ، حكاية عن عيسى أيضاً: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فليس فيه إلا الإخبار بأنه سيموت ، وهو حق لا شك فيه ، ولكن موته لم يحصل ، كما أن البعث لم يحصل ، وسيحصلان فيما بعد ولا بد ، وقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ لا يدل على موت عيسى لأمرين «أحدهما» أنه عام فيخص منه عيسى ، للأدلة الدالة على حياته ، عملاً بما هو مقرر فى الأصول

«والأمر الثاني» أن تبقى الآية على عمومها من غير أن تشمل عيسى أيضاً لأن المراد بالخلد فى الآية البقاء الطويل فى عالم الأرض لأن المشركين كانوا يقدرون أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سيموت فيشمتون بموته، فأنزل الله الآية ردًا عليهم ، وعيسى لم يمكث فى الأرض بل رفع إلى عالم السماء، فهو كالميت بسبب انفصاله من هذا العالم الأرض إلى عالم لا تجرى عليه الأغيار الجسمانية، ولا تعتوره التقلبات الزمانية، وأخبرنى شخص كان قاديانياً ثم أسلم أن القاديانية يستدلون على موت عيسى بحديث هذا لفظه : «لو كان موسى وعيسى حين ما وسعهما إلا اتباعى» ، وهذا حديث مكذوب ما نطق به رسول الله، ولا رواه عنه أحد من أهل الحديث^(١) ، ثم أراد صاحب الفتوى بعد إذ حمل رفع عيسى على رفع المكانة كما فعل القاديانية - وهو باطل كما بينا - أن يؤيد ذلك فقال: وظاهر أن الرفع الذى يكون بعد التوفية رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله «ومطهر كمن الذين كفروا» مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم أهد وأقول: القاديانية هم الذين حملوا الرفع فى الآية على رفع المكانة ، فقلنا لهم : هذا مجاز لا بد له من قرينة قالوا ذكر التوفى قبله والتطهير بعده قرينتان ، قلنا : أما التوفى فلا يصح قرينة لأمرين «الأول» أنه يطلق على الموت والنوم وقبض الدين والأجر إلخ. فهو محتمل يحتاج فى تعيين المراد منه إلى قرينة وما هو محتاج إلى قرينة فى نفسه كيف يكون قرينة على تعيين المراد من غيره؟ «الثانى» أن رفع المكانة ثابت لكل رسول فى الحياة وبعد الممات فكيف يعقل أن يكون التوفى قرينة على رفع مكانة عيسى مع أن ذلك ثابت له !! ما هذا

(١) نعم : صح الحديث بلفظ «لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى» .

إلا من لغو الكلام، وأما قوله تعالى «ومطهرك من الذين كفروا» فهو قرينة على رفع الجسد لا رفع المكان لأن الله تعالى وعد عيسى بأن يطهره من الكفار، فلا يجوز أن يحمل على التطهير المعنوي، لأمرين: الأول: «أن هذا التطهير حاصل لكل رسول، لأن الله لم يختار لرسالته إلا أظهر الناس نفساً، وأزكاهم عملاً، فكيف يصح أن يعد الله عيسى بالتطهير وهو حاصل له؟! «الثاني» أن التطهير المعنوي لا يمنع إذابة الكفار، وظلم الأتقياء، فكم لاقى رسل الله المطهرون من إذابة واضطهاد ولهذا والله أعلم لما أراد الله أن يضمن لرسوله الحفظ من القتل قال له: «والله يعصمك من الناس» أى يمنعك من الناس أن يقتلوك، ولم يقل له: والله يرفع مكانتك على الناس، ولا قال والله يطهرك من الناس، لأن الرفع والتطهير المعنويين لا يدلان على الحفظ من القتل والإيذاء، ولا يستلزمه بحكم العقل، والعادة كما هو ظاهر، وحيث تبين بطلان حمل التطهير فى الآية على المعنوى تعين حمله على التطهير الحسى وهو رفع جسد عيسى حياً وتخليصه من أيدي الكفار الذين أرادوا قتله وصلبه، فالآية تفيد نقيض ما أراده القاديانية الجهلة الذين لا يعرفون اللغة العربية ولا يفهمون أسرار القرآن العظيم، ثم قال صاحب الفتوى - والقاديانية معه فى هذا - ما نصه: وقد جاء الرفع فى القرآن كثيراً بهذا المعنى «فى بيون أذن الله أن ترفع» «درجات من نشاء» «ورفعنا لك ذكراً» «ورفعناه مكاناً علياً» «يرفع الله الذين آمنوا» . إلخ أه وأقول لنا الحق أن نسأل الشيخ عن ورود الرفع مجازاً كثيراً فى القرآن هل هذه الكثرة جعلت لفظ الرفع ظاهراً فى المعنى المجازى بحيث إذا أطلق اللفظ انصرف إليه كما جعلت الكثرة أيضاً لفظ التوفى ظاهراً فى الموت فى زعمه؟ إن قال نعم، إنى بالتناقض لأن معنى قولنا هذا المعنى ظاهراً أنه لا يحتاج إلى قرينة، ومعنى

قولنا إنه مجاز ، أنه لا يفهم إلا بقرينة تدل عليه فكيف يتفق الأمران في كلمة وهما متباينان؟ وإن قال: لم تجعله الكثرة ظاهراً بل لا يزال معنى مجازياً يحتاج إلى علاقة وقرينة ، قلنا له صدقت وحينئذ فقولك كثيراً لغو في الكلام ليس لذكره فائدة سوى التطويل والتسهيل ، والآيات التي أوردتها ظاهر فيها المجاز لوجود قرائن تدل عليه^(١) إلا قوله تعالى في إدريس عليه السلام «ورفعناه مكاناً علياً» فقول: إنه رفع بجسده حقيقة إلى السماء، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي ، والمسئلة مبسوسة في غير هذا الموضع ، ثم قال صاحب الفتوى " وإذن فالتعبير بقوله ، ورافعك إلى بدل رفعه الله إليه كالتعبير في قولهم: لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفي إن الله معنا وفي عند مليك مقتدر ، وكلها لا يفهم منها سوى الرعاية إلخ وأقول تجرأ هذا المفتي وأقدم على القول بأن مراد الله برفع عيسى الرفع المجازي ، وبتوفيه الامامة العادية ، وأهدر ما في الآيات المتعلقة بعيسى من نكت بلاغية وأسرار لغوية ، تقضى بحياته ورفعته كما نبذ الأحاديث والآثار وأقوال العلماء ، وراءه ظهرياً لأنه يشتهى الظهور أمام المتشبعين بالعلم الحديث - بمظهر العالم الذي لا يقبل عقله الخرافات لكن فاته أن رفع عيسى حياً جائز في العقل ، وارد في الشرع ، وما كان كذلك فردّه ، لا قبوله ، هو الخرافة ، وقد قضت الضرورة العقلية بتنزه الله سبحانه عن المكان والزمان ، لأنه خالقهما فلماذا أول العلماء قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ، وقولهم: لحق فلان بالرفيق الأعلى إنما يقال في الشخص الذي يموت فموته قرينة ملموسة محسنة ، وأين هذا من آيات نزول عيسى وحياته ورفعته التي

(١) ولأنه لم يذكر معها لفظ: إلى، الذي ذكر بجانب رفع عيسى. وهو يدل على الرفع الحسى دلالة صريحة.

بعضها صريح^(١) والظاهر منها بيئته السنة المتواترة ؟ وقول صاحب الفتوى فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة إليه؟ تجاهل يزرى بصاحبه ، ومع هذا نجيبه على قدر تجاهله فنقول: أخذت كلمة السماء من كلمة إليه بدليلين قطعين «أحدهما» أن المكان في حق الله محال «ثانيهما» أن السماء مهبط الوحي ، ومسكن الملائكة ، وقبله الدعاء ومنتزل الرزق ، فأضيفت إلى الله تشريفاً ، كما يقال في الكعبة: بيت الله ، وفي ساكن مكة: جدار الله ، وهذا أمر يدركه الطلبة ، قال النيسابوري في تفسيره : أما قوله «ورافعك إلى» فالمشبهة تمسكوا بمثله في إثبات المكان لله ، وأنه في السماء ، لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة ، فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بأن المراد إلى محل كرامتى ومقر ملائكتى والمراد التفخيم والتعظيم أو المراد إلى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فإن في الأرض ملوكا مجازية أهـ والعجيب من الشيخ أن يتجاهل في كلمة إليه الدليل القاطع الذى دل على وجوب تقدير كلمة السماء مع أنه أوجب ملاحظة كلمة أمانة الله في كلمة بل رفعه الله من غير أن يجيز هذه الملاحظة دليل ظنى فضلا عن قطعى !!! ثم قال صاحب الفتوى: وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ناصبه قومه العداء ، فالتجأ إلى الله ، فأنقذه بعزته ، وخيب مكر أعدائه ، وهذا هو ما تضمنته الآيات ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ الخ ، فهو يبشره بانجائه من مكرهم ، ورد كيدهم في نحورهم وأنه سيستوفى أجله حتى يموت حتف أنفه ، من غير قتل ولا صلب ثم يرفعه الله إليه ، وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة

(١) ولفظ : إلى ، صريح فى الرفع الحسى .

فى شأن نهائة عيسى مع قومه ، متى وقف على سنة الله مع أنبيائه حين يتألب عليهم خصومهم ، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فى القرآن أهـ **واقول** : كل ما أبداه باطل لا قيمة له ، ويكفينا فى بيان بطلانه أن نعلمه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى أخبر بحياة عيسى ونزوله ، وهو الذى وكل الله إليه بيان القرآن ، وبيان الدين كله ، وقد اشتمل كلام الشيخ - مع مخالفته لكلام الله ورسوله - على تعليقات هى أشبه بالأقاصيص والخرافات وهو يظنها أقصى ما تصل إليه العقول البشرية ، فى هذا الوقت فقوله : وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، تمهيد ليس له محل فى هذا الموضع ، وإنما محله أن يقال فى الرد على النصارى الذين يزعمون ألوهية عيسى ، أو بنوته لله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وقوله : وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة فى شأن نهائة عيسى مع قومه ، يقال عليه : لا يفهم القارئ ما ذكرته إلا إذا كان متصفاً بوصفين «أحدهما» جهله بالبلاغة وأسرار اللغة العربية «ثانيهما» جهله بالسنة ، فهذين الوصفين يفهم القارئ من الآيات أن عيسى مات ، وأنه لم يرفع ، وأنه لا ينزل ، كما فهم القاديانية ذلك لجهلهم ، ونهائة عيسى مع قومه ليست بواجب عقلى يلزم من فرض تخلفه محال ، حتى نضطر إلى تأويل القرآن ورد الأحاديث من أجلها! فما بال الشيخ كررها بضع مرات؟! وقوله : متى وقف على سنة الله مع أنبيائه ، يقال عليه : سنة الله مع أنبيائه مختلفة فمنهم من تسلط عليه أعداؤه حتى قتلوه ، ومنهم من أنجاه الله ، ثم طرق الانجاء مختلفة ، ولكنها متفقة فى أن النبى يبقى - بعد انجائه - حياً لتقر عينه بهلاك أعدائه ، وانظر إلى نوح وإبراهيم وموسى وهود وصالح ولوط ويونس وغيرهم عليهم صلوات الله ، كيف أبقاهم الله بعد إنجاءهم

حتى شاهدوا هلكة أعدائهم ، فسنة الله مع أنبيائه تقتضى أن يبقى عيسى بعد إنجائه حيًا ، لي شاهد مكر الله باليهود وتقر عينه بذلك ، وهذا نقيض ما يدعيه الشيخ فانظر كيف أتى بما هو دليل عليه وهو لا يشعر ؟ !! وقوله : ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فى القرآن ينطوى على أمر خطير جداً لأنه يحض على تجاهل السنة ، ويحرض على عدم الرجوع إليها فى تفسير القرآن العظيم ، وليت شعرى بماذا يفسر كلام الله إذا لم يرجع فى تفسيره إلى كلام رسول الله وكلام أصحابه ؟ يقول الله لنبيه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ويقول النبی ﷺ «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» ثم يجيء الشيخ فى آخر الزمان فيقول : يكتفى فى تفسير كلام الله بما يفهمه القارئ الخالى الذهن من السنة أى لا علم عنده بها ولا شعور ، فيجعل الجهل شرطاً فى التفسير!! وقد بقيت فى كلامه أشياء واضحة البطلان ولا داعى إلى إضاعة الوقت بمناقشتها ، ثم ذكر الشيخ خلاصة بحثه وفتواه وهى بالضرورة باطلة لبطلان ما بنيت عليه ، فلا حاجة إلى الكلام عنها ، وليرجع القارئ إلى حكم منكر نزول عيسى عليه السلام فقد بيناه أواخر الباب الأول من هذا الكتاب ، وإلى هنا ينتهى ما أردناه من إقامة البرهان ، وهو كاف شاف ، والحمد لله رب العالمين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء الكتاب	٣
كلمة الشيخ	٥
مقدمة	١١
فصل	١٧
فصل	١٨
فصل	٢٠
اثبات نزول عيسى عليه السلام	٢٢
«فصل» الحديث الأول	٢٣
الحديث الثاني	٢٤
الحديث الثالث	٢٥
الحديث الرابع	٢٥
الحديث الخامس	٢٦
الحديث السادس والسابع والثامن	٢٧
الحديث التاسع والعاشر والحادي عشر	٢٨
الحديث الثاني عشر	٢٩
الحديث الثالث عشر والرابع عشر	٣٠
الحديث الخامس عشر	٣١
الحديث السادس عشر والسابع عشر	٣٢
الحديث الثامن عشر والتاسع عشر	٣٤
«فصل» الحديث العشرون	٣٥

الموضوع	الصفحة
الحديث الحادى والعشرون	٣٦
الحديث الثانى والعشرون	٣٨
الحديث الثالث والعشرون	٣٩
«فصل» الحديث الرابع والعشرون	٣٩
الحديث الخامس والسادس والسابع والثامن والعشرون	٤٠
الحديث التاسع والعشرون	٤١
فصل	
الحديث الثلاثون	٤٢
فصل	
الحديث الحادى والثلاثون	٤٣
فصل	
الحديث الثانى والثلاثون	٤٤
فصل	
الحديث الثالث والثلاثون	٤٦
فصل	
الحديث الرابع والثلاثون	٤٧
فصل	
الحديث الخامس والثلاثون	٤٨
فصل	
الحديث السادس والسابع والثامن والثلاثون	٥٠
فصل	

٥٢ الحديث التاسع والثلاثون
	فصل
٥٣ الحديث الأربعون
	فصل
٥٤ الحديث الحادى والثانى والأربعون
	فصل
٥٥ الحديث الثالث والأربعون
	فصل
٥٦ الحديث الرابع والأربعون
٥٧ الحديث الخامس والأربعون
٥٧ الحديث السادس والأربعون
٥٧ الحديث السابع والأربعون
	فصل
٥٨ الحديث الثامن والأربعون
٥٩ الحديث التاسع والأربعون
٦٠ الحديث الخمسون
٦٠ الحديث الحادى والخمسون
٦١ الحديث الثانى والخمسون
٦٢ الحديث الثالث والخمسون
٦٣ الحديث الرابع والخمسون
٦٣ الحديث الخامس والخمسون

الموضوع	الصفحة
الحديث السادس والخمسون	٦٣
الحديث السابع والخمسون	٦٤
الحديث الثامن والخمسون	٦٥
الحديث التاسع والخمسون	٦٥
الحديث الستون	٦٦
الحديث الحادى والستون	٦٧
فصل	٧٥
فصل	٧٧
فصل	٨٥
فصل	٨٦
فصل	٩٢
فصل	٩٦
فصل	٩٩
فصل	١٠٨
باب مناقشة ألفاظ الفتوى	١١٠



من تراث الكوفة